

الإعداد الروحي لعصر الظهور

تأليف

السيد علاء الدين الموسوي

إعداد وتحقيق

مركز الأبحاث والبحوث الإسلامية
بجامعة الإمام محمد باقر
الطهراني

سلسلة الندوات المهدوية

مركز الدراسات التخصصية
في الإمام المهدي عليه السلام
النجف الأشرف - شارع الرسول صلى الله عليه وآله - محلة الحويش
رقم الزقاق ٥٤ - رقم الدار ٢
هاتف: ٣٣٢٨١١ و ٣٣٢٨١٣
ص.ب ٥٨٨
www.m-mahdi.com
m-mahdi@m-mahdi.com

الإعداد الروحي لعصر الظهور
السيد علاء الدين الموسوي
إعداد وتحقيق
مركز الدراسات التخصصية
في الإمام المهدي عليه السلام
الطبعة الأولى: جمادى الأولى ١٤٢٧ هـ
رقم الإصدار: ٣٨
السعر: ٥٠٠ دينار
النجف الأشرف
جميع الحقوق محفوظة للمركز
العدد: ٣٠٠٠ نسخة

الإعداد الروحي

لعصر الظهور

تأليف

السيد علاء الدين الموسوي

إعداد وتحقيق



رقم الإصدار: ٣٨





اللَّهُمَّ كُنْ لَوْلِيكَ الْحُجَّةَ بْنَ الْحَسَنِ
صَلِّوَاتِكَ عَلَيْهِ وَعَلَى آبَائِهِ فِي هَذِهِ السَّاعَةِ
وَفِي كُلِّ سَاعَةٍ وَتَيًّا وَحَافِظًا وَقَائِدًا وَنَاصِرًا وَدَلِيلًا وَعَيْنًا
حَتَّى تُسَكِّنَهُ أَرْضَكَ طَوْعًا وَتُمَتِّعَهُ فِيهَا طَوِيلًا

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة المركز:

تعتبر فكرة الإمام المهدي عليه السلام من أوائل الأفكار والقضايا انطباعاً في الذهن العقائدي الإسلامي، فلا يكاد يوجد مسلم مهتم بشؤون دينه الحنيف _ مهما كان المذهب الذي ينتسب إليه _ إلا وسمع أكثر من حديث بخصوص تلك الشخصية المباركة التي خلقها الباري عز وجل لتحقيق أمل الإنسانية السرمدية وحلم الأنبياء على مرّ العصور بأن يملأ الأرض قسطاً وعدلاً بعد ما ملئت ظلماً وجوراً.

ومن غير المتعذر على كل متتبع أن يهتدي إلى الأهمية القصوى والاهتمام البالغ الذي أولاه الدين الحنيف لهذه الشخصية المقدّسة، وذلك من خلال الأحاديث والتأكيدات المتكاثرة الواردة عن النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وعن الأئمة المعصومين عليهم السلام من أهل بيته الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً، وتناقلها المحدثون من الطوائف والمذاهب الإسلامية كافة، فقلّما تجد كتاباً يهتم بجمع الأحاديث يخلو من ذكر هذه الشخصية أو من ذكر مواصفاتها ومتعلقاتها، حتى صارت فكرة الإمام المنتظر من المسلّمات التي لا يمكن لمنصف أو باحث عن الحقيقة أن يتنكّر لها أو يطوي عنها كشحاً، على الرغم من كثرة الاختلافات التي وقعت بين أبناء الطوائف الإسلامية في تحديد التفاصيل والجزئيات، من حيث ولادته وطول عمره وغيبته وما يتعلّق به من تفاصيل.

إلا أنّ كل هذا الاهتمام الذي أولته الشريعة لهذه القضية المقدّسة لم يمنع المتصيدين بالماء العكر من إثارة الشبهات وتوجيه الشكوك، فأثاروا بعض الغبار هنا وهناك للتعتيم على هذه الفكرة، والتشويش على هذه العقيدة الحقّة، فكثرت التساؤلات عن ولادته عليه السلام وغيبته وطول عمره، وغير ذلك ممّا يثيره المغرضون الذين تتعارض مصالحهم مع الإيمان بهذا المصلح الذي يبعث الأمل في نفوس المؤمنين، ثمّ تمادى البعض في غيّه، فأثار من الشبهات ما لم ينزل الله به من سلطان، ممّا تسبّب في إخفاء بعض الحقائق ودثر بعض الشواهد الإلهية، كما ساعد على ذلك أيضاً تعسف الظالمين الذي حاولوا طمس الحقائق بكل ما يتمكّنون عليه من وسائل فوقفوا بوجه كل المحاولات التي أرادت توضيح الحقائق وكشف ما استتر من الحقّ.

وهذا الأمر هو الذي بعث فينا الإحساس بعظم المسؤولية الملقاة على عاتقنا، وخصوصاً بعد انقشاع الظلمة، فبذلنا كل ما نملك من وسع لإزالة الأغبرة المتراكمة، وتوضيح الحقائق والبراهين الدالة على حضور الإمام المؤمّل، وذلك من خلال النشاطات التي تبناها مركز الدراسات التخصصية في الإمام المهدي عليه السلام، والتي كان من جملتها:

- ١ _ الاهتمام بطباعة الكتب المختصة بالإمام المهدي عليه السلام.
- ٢ _ الاهتمام بطباعة ونشر المحاضرات المختصة به عليه السلام.
- ٣ _ الاهتمام بنشر كل ما من شأنه تقوية ارتباط الأطفال بإمامهم.
- ٤ _ إصدار مجلة فصلية تخصصية باسم (الانتظار).
- ٥ _ الاهتمام بالبعد الإعلامي المختص بالإمام عليه السلام، من خلال كافة وسائل الإعلام بما فيها الانترنت والقنوات الفضائية.

٦ _ الاهتمام بإقامة الندوات التخصصية في هذا الشأن.

وما نحن _ عزيزي القارئ _ نضع بين يديك هذا الكتيب الذي يحمل بين طياته جزءاً من الندوات التي أقامها المركز، حيث يستضيف علماءنا الأعلام وشخصياتنا الإسلامية المرموقة، لتوضيح الحقيقة، وللإجابة على كل الشبهات، ليظهر الحقّ جلياً وواضحاً لا غبار عليه، ولتبيّن الطريق اللاحب لكل من أراد جادة الحقّ.. حيث أخذت هذه الندوات طريقها للنشر من خلال صفحات الانترنت ووسائل الإعلام المسموعة والمرئية، ومن خلال الأشرطة المسجّلة والأقراص المضغوطة، خدمة للدين الحنيف والمذهب الحق.

سائلين المولى ﷺ أن يجعل هذه الخطوات محطّ قبول ورضى إمامنا صاحب الزمان عجل الله له الفرج الذي يعيش بين أظهرنا ويتفقد أحوالنا ويعلم بكل ما نسرّ وما نعلن، دون أن نراه.. إنه نعم المولى ونعم المجيب.

شكر وتقدير:

والمركز إذ يقدم للمكتبة الإسلامية وللإخوة القراء هذا الكتاب القيم يتقدم بالشكر للإخوة في لجنة التحقيق على جهدهم في انجاز هذا العمل ونخص بالذكر الأخ الكريم الشيخ علاء عبد النبي لجهده المتميز في تصحيح الكتاب واستخراج مصادره كما يتقدم بالشكر إلى قسم الكمبيوتر ونخص بالذكر الأخ الفاضل مسؤول قسم الكمبيوتر ياسر الصالحي.

السيد محمد القبانجي

مركز الدراسات التخصصية

في الإمام المهدي ﷺ

النجف الأشرف

ومن هنا جاءت هذه الندوات لسماحة السيد علاء الدين الموسوي والمتمثلة في دراسة كيفية الإعداد الروحي لعصر الظهور حيث قسم ومن خلال ندواته الكريمة الإعداد الروحي إلى قسمين يتمثل الأول بالإعداد الروحي العام والذي يمكن أن نعتبره مؤشراً لتصاعد حالة الانتظار الحقيقي لدى الإنسان الملتزم بينما خصّ القسم الثاني منه بالإعداد الروحي في عصر الظهور إذ من الواضح عدم انتهاء التكامل في حالة الظهور بل يبقى الإنسان متدرجاً في مستويات الكمال وطامحاً لما هو أفضل للحصول على مقعد صدق عند مليك مقتدر وإن غداً لناظره قريب.

ولأهمية هذه الندوات من الناحية الفكرية والعقائدية في الرقي بالمنتظر إلى مراحل الكمال والتمهيد ارتأى مركز الدراسات نشر هذه الندوات بعد إعدادها وتحقيقها تعميماً للفائدة.

* * *

بسم الله الرحمن الرحيم

كلمة لا بدّ منها:

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خير خلقه محمّد وآل بيته الطيبين الطاهرين.

في خضمّ التدايعات والارهاصات الفكرية والعقائدية التي يعيشها شعبنا العراقي بعد الانفتاح الكبير على الثقافة الحرة وتلون الفكر العراقي بمختلف التيارات العلمانية منها من جهة والمحسوبة على الفكر الديني من جهة أخرى كان لا بدّ للكلمة الأصيلّة أن تجد موضع قدم لها وكان لا بدّ للفكر الأصيل أن يشرق في ربوع عراقنا الحبيب وكان لا بدّ للروح العراقية بل المسلمة عموماً أن تعيش أصالتها وتخزن من تراثها القويم ما يؤهلها لتكون معلماً لإضاءة الحقّ وإشراقه تير الدرب وروحاً متعالية تمهد السبل وتبعد الطريق لإرساء العدالة والقسط العالمي والذي يرفرف بظلاله على أرجاء المعمورة وذلك بالحركة الإصلاحية العظمية بقيادة أمل الأنبياء وأنشودة المستضعفين الحجة ابن الحسن عليه السلام.

وتماشياً مع هذه الضرورة الملحة أخذ قسم التبليغ في مركز الدراسات التخصصية في الإمام المهدي عليه السلام على عاتقه عقد الندوات الفكرية المختصة في الإمام المهدي عليه السلام والممهدة لظهوره المقدس.

المحور الأول :

الإعداد الروحي العام

إذاً التزكية أمر مطلوب للجميع، وواجب على الجميع.
وتارة ننظر إلى التزكية من وجهة نظر الظهور، أو من هذه
الزاوية، زاوية التهيؤ والاستعداد لنصرة الإمام المهدي عليه السلام
والمشاركة مع الإمام لنشر العدل في الأرض.

إذاً في حديثنا هذا مقامان:

المقام الأول: التزكية بشكل عام، أي الإعداد بشكل عام، وهو
أمر مطلوب يجب على كل المسلمين في أي عصر من العصور.
والمقام الثاني: إعداد روحي وتزكية بشكل خاص يرتبط
بمشروع الإمام المهدي في إصلاح الناس وإصلاح الأرض ونشر
العدل، وحديثنا سيبدأ بالمقام الأول، وينتهي بالمقام الثاني.
أريد أن أفهرس الحديث لكي يكون مسيرنا فيه واضحاً، كيف
سنتحدث عن هذه المسألة في مراحلها العديدة؟

المعالم الأساسية لطريقة أهل البيت عليهم السلام في الإعداد الروحي:

الأمر الأول الذي سنتحدث فيه هو في طريقة أهل البيت عليهم السلام
في إعداد وتزكية المؤمن روحياً، والفرق بين هذه الطريقة وبين طريقة
غيرهم من المتصوفة والعرفاء، هذا عنوان مهم جداً سوف نبدأ به
الحديث.

أهل البيت عليهم السلام كما تعلمون هم أئمة الخلق، وهم المفسرون
الشرعيون لهذا القرآن الكريم، ونحن نعتقد أنهم لم يتركوا شيئاً مما
يهم الإنسان في حياته صغيراً أو كبيراً، إلا وتناولوه بتعاليمهم وأرشدوا
الإنسان إليه.

بسم الله الرحمن الرحيم

قال تعالى في كتابه الكريم:

﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا * وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا﴾^(١).

حديثنا في مستهل هذه الدورة المباركة في هذا الشهر الكريم في هذا
البلد الكريم^(*) سيكون عن الإعداد الروحي بلحاظ زمن الظهور إذ يراد
التعرض لجملة من المواضيع المرتبطة بالإعداد الروحي للمؤمن الذي ينتظر
الفرج ويهيء نفسه لنصرة الإمام المهدي عليه السلام.

الإعداد الروحي للمؤمن تارة يُنظر إليه من وجهة نظر عامة، وأخرى بما
هو مقدمة من مقدمات التهيؤ للظهور، الإعداد الروحي هو تعبير آخر عن
التزكية التي ذكرها القرآن الكريم ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا﴾، فالتزكية بشكل عام
هي هدف مقدس لكافة المؤمنين، وكل إنسان مؤمن، وهو في أي مرحلة من
مراحل حياته، وفي أي مقطع من مقاطع التاريخ، مطالب بأن يزكي نفسه،
وهذا أمر نحن مطالبون به أيضاً كما طوّل به المؤمنون في صدر الإسلام
والمؤمنون التابعون بعد ذلك، وهكذا كل طبقات المسلمين كانوا يقرؤون هذه
الآية ويفهمون منها ذلك ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا﴾.

(١) الشمس: ٩ و ١٠.

(*) شهر رمضان المبارك من العام ١٤٢٦هـ، في البلدة الطيبة النجف الأشرف على
مشرفها آلاف التحية والسلام.

ومن تلك المواضيع المهمة، موضوع التزكية الذي هو من الأمور الخطيرة في حياة الإنسان.

التزكية تعني: إعادة صياغة الروح، إعادة صياغة النفس، السيطرة على النفس بكل جوانبها، وهذا أمر ليس بالهين، أمرٌ مهم للغاية أن يكون الإنسان قادراً على السيطرة على نفسه، وعلى التحكم في غرائزه، وعلى إعادة صياغة روحه، فلا يمكن أن نفترض أن أهل البيت عليهم السلام تركوا المسألة سدى ولم يتعرضوا لها، أو أنهم كانوا حياديين تجاهها، فلم يكن عندهم طريقة خاصة وأسلوب خاص للتزكية، لا بدّ وأن نعترف بأن التزكية واجب على المؤمن، وقد أرشد الناس إلى طريقة خاصة لذلك في القرآن الكريم، وأكملها أهل البيت عليهم السلام ببياناتهم ورواياتهم.

إذاً لأهل البيت عليهم السلام طريقة خاصة في التزكية هي طريقة القرآن نفسه، وهي تختلف عن الطرق الأخرى التي راجت في العصور السابقة بين الطوائف الإسلامية المختلفة، من تصوف، ومن عرفان، فما هي إذن طريقة أهل البيت عليهم السلام في التزكية؟ هذا أمر مهم يجب أن نتعرف عليه.

والجواب: هو أن أسلوب أهل البيت عليهم السلام في تربية النفوس والأرواح يعتمد على معالم وأركان أساسية:

المعلم الأول: (الفطرة):

أولها: هو إرجاع الناس إلى الفطرة والتأكيد على الرجوع إلى النفس، حيث سيجد الإنسان ضالته داخل نفسه، ليس بعيداً عنها، ولا بمنأى عن جوانبها.

القرآن الكريم يشير إلى ذلك في قوله تعالى: ﴿فَطَرَتِ اللَّهُ النَّاسَ فِطْرَةَ النَّاسِ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ﴾^(١).

الأئمة عليهم السلام بدورهم جاءوا وفسروا هذه الآيات التي تتحدث عن الفطرة، فصرحوا عن الفطرة ﴿فَطَرَتِ اللَّهُ...﴾ بأنها تعني التوحيد، بمعنى: أن الله تعالى خلق الناس وأودع فيهم هذه الفطرة وأودع فيها توحيده والإيمان به والتصديق بوجوده.

الله تبارك وتعالى حينما خلق الإنسان لم يخلقه موجوداً بلا توجيه، بل خلق في داخله عقلاً يقبل التوجيه. عقلاً يقبل الكلام يقبل النصيحة، يفهم، ولولا هذا العقل لما صحّ التكليف، هذا العقل هو تعبير آخر عن الفطرة، أحكام العقل الأساسية التي نعترف بها هي عبارة أخرى عن الفطرة، العقل الإنساني بما هو عقل، سواء كان الإنسان مسلماً أو غير مسلم، هو الفطرة بعينها، أي إنسان عاقل يحمل عقلاً كاملاً تاماً يجد من القبيح والمستهجن أن يخون الأمانة، هذه مسألة إنسانية عامة بغض النظر عن التعاليم الدينية. هذه هي الفطرة، كل عقل إنساني يأبى نكاح الأمثال مسألة فطرية، الفطرة أودع فيها ذلك، فإذا العقل هو عبارة أخرى عن الفطرة، الله عندما خلقنا أودع فينا هذه الفطرة بما فيها من أساسيات، بما فيها من مفاهيم أصيلة على أساسها تتفرع الفضائل، وعلى أساسها يتعلم الإنسان الخير.

أهل البيت عليهم السلام حاولوا بكل أسلوب وبكل طريقة أن يرجعوا الناس إلى الفطرة التي دعا إليها القرآن وأكد على ضرورتها وأهميتها

ومركزيتها، فإذا هذا معلّم أول من معالم طريقة أهل البيت عليهم السلام في تربية الناس وتزكيتهم، التأكيد على الفطرة والرجوع إليها، والتأكيد على أن من أراد التزكية فعليه أن يرجع إلى فطرته وإلى ذاته.

هذه المسألة لا بدّ من التوقف عندها بالشرح:

الفطرة صفحة بيضاء نقية، ولذلك حينما يولد الطفل وإلى أن يبلغ سنّ التكليف نعتبه وجوداً طاهراً لا شوائب فيه، لا حق يتعلق في عهده، لا ذنب يتعلق في ذمته.

الله ﷻ جعل فطرة الطفل فطرة توحيد، توحيد الطفل يعني معرفته بربه، تلك المعرفة الكامنة في أعماقه، والممزوجة بوجوده، والتي تجعل بكاءه تسيحاً لربه (كما ورد في بعض الروايات)، ولكن لا تفقهون تسيحهم.

توحيداً كامل، لكن الطفل لا يستطيع أن يعبر عن نفسه أو يبدى ذلك، إلا أن الظروف غير الصالحة التي تحيط بالطفل من والديه، من مجتمع، من مؤثرات ثقافية، من مؤثرات إعلامية، كل ذلك يراكم على تلك الفطرة الغبار حتى يخفي معالمها، يخفي حقيقتها، فيكبر الإنسان مسيحياً أو يهودياً، أو يكبر مخالفاً لأهل البيت عليهم السلام، أو يكبر شيعياً لكن مع شيء من الضعف في بعض الكمالات والفضائل.

إذاً الفطرة هي أساس الفضائل وأساس التوحيد في وجودنا، لكن الإنسان حينما يعيش في مجتمع ما يتأثر بظروف ذلك المجتمع، كما أكد رسول الله ﷺ، قال: «كل مولود يولد على الفطرة، حتى

يكون أبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه»^(١) الفطرة هي أساس الخير، فإذا أراد الإنسان أن يرجع إلى الخير فإنه يرجع إليها كما خلق، هناك عبارات رشيقة فيما يتعلق ببعض الأعمال وثوابها كقوله ﷺ: «من حجّ ولم يرفث ولم يفسق رجع كيوم ولدته أمه»^(٢).

هذه أمنية بالنسبة إلى المؤمن، كل مؤمن يتمنى أن يوفق لعملٍ يُرجعه إلى هذا الحد من النقاء.

فإذا أهل البيت عليهم السلام أكدوا علينا أنه إذا أردتم التزكية فارجعوا إلى الفطرة التي جنتم معها إلى الدنيا.

ارجعوا إلى تلك الفطرة التي يتحدث عنها الله تعالى: ﴿فَطَرَتَ اللَّهُ الَّذِينَ فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا﴾^(٣) ففطرة الله دائماً نظيفة نقية.

فالمعلّم الأول من معالم طريقة أهل البيت عليهم السلام في تربيتنا وتزكيتنا هي ارجاعنا إلى الفطرة. وهنا نتساءل: ما هي الآثار النفسية لهذه الطريقة؟

الآثار النفسية للفطرة:

هناك بعض الآثار النفسية لهذا الأسلوب الرائع.

منها: أن أسلوب القرآن الذي هو أسلوب أهل البيت عليهم السلام، حينما يدعو الإنسان لأن يكون طاهراً سويّاً تائباً إلى الله يقول له ارجع

(١) شرح الأخبار/ النعمان المغربي ١: ١٩٠؛ عدة الداعي/ ابن فهد الحلبي: ٣١١؛ بحار الأنوار/ المجلسي ٣: ٢٨١.

(٢) كنز العمال/ المتقي الهندي ٥: ٧/ ح ١١٨٠٨؛ وجامع البيان/ الطبري ٢: ٣٧٨.

(٣) الروم: ٣٠.

إلى الفطرة، هذا الارجاع يعطي الإنسان الشعور بأن الشيء المطلوب منه ليس بأمر بعيد وليس بأمر صعب وشاق.

لاحظوا المدارس الأخلاقية الأخرى التي تدعو إلى التزكية عن طريق التصوف أو العرفان، تلك المدارس تضع الإنسان على طريق متاهة. في تلك المدارس يشعر الإنسان أنه يسعى إلى شيء غريب خارج وجوده، أما في مدرسة أهل البيت عليهم السلام فإنه يشعر أنه مدعو إلى الرجوع إلى نفسه، الإنسان مرة يقال له إذا أردت حل مشكلتك فهي في بيتك، الحل في دارك، فإنه سوف يطمئن ويحس أن الهدف ليس بعيداً، أما إذا قيل له أن الشيء الذي تطلب في الصحراء، وأن المساحة التي تبحث فيها ليس لها حدود، كم سيكون ذلك صعباً على الإنسان، وكم سيحدث ذلك يأساً، وإعراضاً عن المسير.

أما أهل البيت عليهم السلام فإنهم قالوا: ابحث عن ضالتك في قلبك، في داخل نفسك، الفطرة السليمة هي الضالة، ابحث عن تلك الفطرة وأزل الغبار المتراكم عنها والشوائب والأوساخ المتراكمة بسبب الحياة تجد ضالتك التي تحييك، وهي التي ترجعك إنساناً كاملاً، وهي التي تجعلك أقرب ما تكون إلى رب العالمين.

فالدعوة إلى الفطرة لها أثر نفسي بالغ في تيسير السلوك إلى الله تعالى وتسهيل الأمر على الناس.

وقد يتصور البعض أن السير إلى الله تعالى هو من أصعب الأمور وأشقها، وأن السائر إليه تعالى لا بد أن يلتزم بأعمال شاقة وأذكار طويلة وممارسات خاصة. مما يجعل التزكية عملية خاصة

بالنخبة من الناس، أما عامة الناس فلا طريق لهم إلى ذلك، لصعوبة ذلك ومشقته. فلا الشاب يرغب في ذلك، ولا المرأة تتقبل ذلك ولا الكاسب ولا العامل ولا غيرهم من عامة البشر ممن يعمل ويكسب ويجهد لتحصيل لقمة العيش، إذ لا يجد مجالاً للالتزامات الصعبة التي يفترضها الصوفي، فيحيد عنها وعن أصل السير.

وحتى من سار طبقاً لتلك الطريقة الصعبة سرعان ما سيصيبه التعب والجهد والملل. فيترك السير والسلوك دون رجعة لأنه إنسان له متطلبات. وذلك الأسلوب لا يراعي متطلباته كبشر.

أما إذا رجعنا إلى أهل البيت عليهم السلام وهم أطباء النفوس والأرواح، وبهم تزكى الأنفس، سنجد عندهم ما نريد بكل بساطة ويسر، إذ يقول سيدهم الرسول الكريم ﷺ: «جئت بالشرعية السهلة السمحاء»،^(١) التي لا تعقيد فيها، ولا احتكار ولا اختصاص. هي ليست خاصة بمجموعة من الناس يسمون بالصوفيين، ولا بالعرفانيين، هي شرعية لعامة البشر ميسرة لهم جميعاً. فقالوا عليهم السلام: «أعبد الناس من أقام على الفرائض».^(٢)

هذا هو التيسير الذي يجعل من الشريعة طريقاً لنجاة عامة البشر.

وقالوا عليهم السلام: «ومن ورع عن محارم الله فهو من أروع الناس».^(٣)

أروع الناس هل هو من انعزل في صومعته ولم يعرف من الحياة

(١) ذخير المعهاد ١: ٩٧.

(٢) تحف العقول: ٤٨٩.

(٣) تحف العقول: ٧.

وابتلاءاتها ومشاكلها شيئاً؟ هل هو من انكفأ على نفسه وترك الناس والدنيا دون أن يترك عليها شيئاً من بصماته؟ واكتفى بالأذكار والعبادة الأناية التي لا نفع فيها لأحد إلا لنفسه؟

الكف عن المحارم هو الطريق إلى الله تعالى، وهو وسام المتقي العارف الورع.

الشخصية الحقيقية للإنسان:

روح الإيمان التي أودعت في الإنسان هي الشخصية الحقيقية للإنسان، فقد ورد عنهم عليهم السلام: أن للإنسان أربعة أرواح: روح الغضب، وروح القوة، وروح الشهوة، وروح الإيمان. روح الغضب يشترك فيها مع الحيوان، وكذلك روح الشهوة، وهكذا روح القوة، أما الروح التي تميزه عن غيره من المخلوقات فهي روح الإيمان التي تمثل الشخصية الحقيقية له.

في هذه الروح أودع الله تعالى جملة من الأساسيات التي يستطيع الإنسان بها تمييز الحق من الباطل، والحسن من القبيح. هنا اختلف المسلمون، فقال بعضهم وهم الأشاعرة أن الإنسان عاجز عن تشخيص الحسن من القبيح في الأشياء. ولا بد له أن يستعين بالشرع ليكتشف ذلك. فلا قبح ولا حسن إلا بمعونة الشريعة.

وقالت الإمامية أن الإنسان قادر على معرفة الحسن والقبح في الأشياء بغض النظر عن توجيهات الشريعة. وهذا ما يشكل فرقاً مهماً في موقف هذه المسالك العقائدية من العقل ودوره في بناء العقيدة.

نحن نعتقد بدور بالغ للعقل في هذه العملية، فهو قادر على الاستقلال في الفهم والتعرف على حسن الأشياء وقبحها، وبذلك يمكن الاستدلال على

مبدأ التوحيد والنبوة وغيرها من المبادئ العقائدية. وبدون هذه الفكرة وهي (استقلال العقل بالحسن والقبح) لا يمكن الوصول إلى الفهم الصحيح للتوحيد والاثبات العلمي له ولبقية العقائد اللاحقة كالنبوة.

إن غاية ما يمكن الاستدلال به على صدق النبي هو المعجزة التي يأتي بها، وذلك لأننا نقول عادة: أن من القبيح على الله تعالى أن يظهر المعجز على يد الكاذب، وهذا يستبطن اعترافاً مسبقاً بأن هناك قبيحاً ندركه قبل ثبوت نبوة النبي، أما لو كان الأمر كما يقول الأشاعرة، وأنه لا قبيح إلا ما قبحه الشرع، فكيف نحكم بقبح إظهار المعجزة على يد الكاذب والمفروض أننا نتحدث في مرحلة ما قبل ثبوت نبوة النبي وقبل ثبوت أوامر ونواهي للشرعية عن طريقه. كيف لنا أن نعرف القبيح من الحسن قبل أن يثبت لنا نبوة هذا النبي، وإذا لم تكن نبوته ثابتة إلى الآن كيف لنا أن نعرف قبح اظهار المعجزة على يد الكاذب؟

إذن.. مع ما يقوله الأشاعرة لا يمكن إثبات نبوة النبي عن طريق المعاجز. نعم على ما يذهب إليه الإمامية يكون الأمر واضحاً إذ يكون هناك اعتراف مسبق بقدره عقلية مستقلة في إدراك الحسن والقبح تقضي بقبح إظهار المعجزة على يد الكاذب ومن ثم يثبت صدق نبوة النبي.

بطلان قول الأشاعرة:

من الشواهد على بطلان قول الأشاعرة الذي يلغي دور العقل.. هو أن من يعيش في الغاب من القبائل البدائية، مع أنها لم تطلع على الشرائع الإلهية ولم يصلها شيء من التوجيهات الشرعية، هي مع ذلك تعيش وفقاً لجملة من القوانين، من يخون عقوبته كذا، ومن يقتل

عقوبته كذا، هذا يعني أنهم يدركون أموراً لا بدّ أن يلتزم بها وأموراً لا بدّ من الابتعاد عنها، وهذا تعبير آخر عن الحسن والقبيح.

فلو كان الإنسان فاقداً للشعور بالحسن، وفاقداً للشعور بالقبيح لما استطاع أبداً أن يقنن أيّ قانون، ولما كان عنده أيّ موقف في الحياة، لكننا نجد أولئك أصحاب مواقف يكرهون شيئاً ويحبون آخر، فهم يشعرون أن أموراً معينة تدخل في الجيّد وأموراً أخرى تدخل في السيئ، هذا شاهد! الشاهد الآخر:

إننا بأنفسنا لو عرض علينا بعض الأمور (غير المنسجمة مع الفطرة السليمة) وقيل هذا حلال أتقبل نفوسنا ذلك؟ الشارع المقدس لو قال: يجوز لك سلب الآخرين حقوقهم، شيءٌ قبيح جداً، لا يتقبل الإنسان أن يفكر فيه فضلاً عن ارتكابه، المؤمن الذي يعيش هذه الحالة حتّى لو فُتح له المجال لا يفعل، هناك أمور نحن نشعر بقبحها، هذه لم تأت من الشريعة، الشريعة جاءت بدور مكمل، أما هذا فأساساً هو مركز في داخل الفطرة.

نرجع إلى حديثنا: هذه النقطة _ نقطة الفطرة _ التي يرجعنا إليها أهل البيت عليهم السلام هي أسلوب أهل البيت عليهم السلام، أسلوب يثبت الناس على مبدأ أخلاقي من جهة ومبدأ عقائدي من جهة أخرى، لأن العقائد تنبثق من ذلك، وذلك ما نسميه (القبح والحسن العقلين) مسألة تُبحث في العقائد بشكل مفصّل، وهي محل خلاف بيننا وبين الأشاعرة.

طبعاً المعتزلة إلى جانبنا في هذه القضية بالخصوص.

استعراض وتلخيص:

نستعرض ما تقدم بشكل سريع.

أهل البيت عليهم السلام لهم أسلوب خاص في التزكية، أسلوبهم الخاص مبني على التيسير لا على التعقيد، أوّل معالم هذا الأسلوب: تأكيده على الفطرة، والفطرة تعني عقل الإنسان، أو روح الإيمان التي ذكرناها والتي هي واحدة من تلك الأرواح:

١ _ روح الإيمان، ٢ _ روح القوة، ٣ _ روح الشهوة، ٤ _ روح الدرج.^(١)

روح الإيمان هي روح الفطرة، وذلك العقل المودع فيه تلك الأساسيات، هذه الفطرة وهذه الروح هي التي يجب أن نبحث عنها ونرجع إلى ذواتنا لإزالة الغبار عنها حتى تظهر حقائق الإنسان جلية من جديد، حقيقة الإنسان تظهر بهذا الجهد، بأن يرجع الإنسان إلى ذاته. هذا هو المعلم الأوّل من معالم أسلوب أهل البيت عليهم السلام في التربية والتزكية.

المعلم الثاني: (التفكّر):

المعلم الثاني المهم: الذي يؤكد عليه أهل البيت هو (التفكّر) «تفكّر ساعة خير من عبادة سبعين سنة»،^(٢) لنرجع إلى العبادة التي قارنها أهل البيت عليهم السلام مع التفكّر لنرى آثار العبادة، ثم نأتي ونرى آثار التفكّر المضروبة في سبعين.

(١) أنظر: اعتقادات الشيخ المفيد: ٥٠؛ بحار الأنوار/ المجلسي ٦: ٢٥٠ و ٥٨: ٧٩.

(٢) عوالي اللئالي/ ابن أبي جمهور ٢: ٥٧، والحديث مروي عن النبي صلى الله عليه وآله.

العبادة وآثارها:

من الواضح أن الإنسان الذي يقف بين يدي ربه ويتعلق به كأنه يعرج إلى خالقه، طبعاً ليست عبادة الساهي ولا الغافل، بل عبادة الاخلاص والتوجه، مثل هذه العبادة ما هي آثارها في النفس؟
لا شك أن آثارها: هي تصفية النفس وتزكيتها، لأنها نوع من الارتباط بالغيب، ومعراج للمؤمن «الصلاة معراج المؤمن»،^(١) يعني أن روحه تعرج إلى بارئها فتتعلق بالله، تصوروا سبعين سنة يتعبد الإنسان ربه. ما عسى أن تكون لها من آثار روحية؟! لا يمكن لنا أن نحصي أو أن نتوقع حجم تلك الآثار. لأنها آثار عظيمة وعالية جداً.

النبى ﷺ يقول بكل صراحة وبساطة: «تفكر ساعة خير من عبادة سبعين سنة» خير من آثار تترتب على عبادة سبعين سنة في النفس وفي القلب، عجباً لهذا الأسلوب وهذه الطريقة كيف توصل إلى هذه النتائج الباهرة، يعني أن الإنسان إذا جلس ساعة مع نفسه في مكان لا يشغله أحد ولا شيء، بينه وبين نفسه يفكر بربه، يفكر بذنوبه، يفكر بتاريخه وماضيه، يفكر في نعم الله عليه، بعد ساعة سيخرج أفضل ممن تعبد الله سبعين سنة، الواقع أن هذه المسألة مرتبطة بالتزكية وبالفطرة، التفكير هو من أكبر العوامل وأنجح الأساليب لإزالة الغبار عن الفطرة، ونحن مسؤولون على طهارة وتزكية تلك الفطرة، التفكير من أكبر الوسائل لذلك البحث، هذا البحث الداخلي الذي يبحث فيه الإنسان عن ذاته وعن حقيقته وعن إنسانيته، كأن الإنسان

(١) مستدرک سفينة البحار/التمازي ٦: ٣٤٣.

يمسك في يده ضوءاً كاشفاً يبحث فيه عن دخائل نفسه وفي زوايا روحه حتى يجد الفطرة ويزيل عنها التراب وينظفها.

التفكر عبادة، بل هو خير من العبادة الشكلية، لكن له أصول وآداب. العقل من العطايا المقدسة التي أعطاها الله للإنسان وجعل نتيجتها وثمراتها مباركة دائماً، وليس لدينا نتاج عقلي غير مبارك، بل كل ما كان نتاجاً للعقل السليم فهو مبارك. قد يسأل سائل: أنه قد يكون هناك أناس يستخدمون عقولهم في الباطل.

نقول: هذا ليس عقلاً، بل هو نكراء، وذكر ذلك أمير المؤمنين عليه السلام حين أتاه أحد الأشخاص وكان يسمع الأمير يتحدث عن العقل، فيقول له: يا مولاي وما ذلك الذي في معاوية؟ (معاوية داهية، مدبر سياسي) قال عليه السلام: الذي في معاوية هو النكراء وليس العقل، النكراء شيء يشبه العقل ولكنه النسخة الشيطانية منه، العقل ليس هذا، العقل ما عبد به الرحمن واكتسب به الجنان.^(١)

فإذاً ليس لدينا نتاج عقلي سيء، لكن علينا أن لا نشبهه بالعقل إنما هو

(١) عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: العقل ما عبد به الرحمن، واكتسب به الجنان، قيل: فعقل معاوية؟ قال عليه السلام: «إنما هي نكراء وشيطنة، وليست بعقل». أنظر: اللعة البيضاء/ الأنصاري: ٣٨٣.

وروي أيضاً باختلاف مرفوعاً إلى الإمام الصادق عليه السلام قال: «... تلك النكراء وتلك الشيطنة، وهي شبيهة بالعقل، وليست بعقل». أنظر: الكافي/ الكليني ١: ١١/ ح

٣؛ معاني الأخبار/ الصدوق: ٢٤٠/ باب معنى العقل/ ح ١.

العقل الكامل، العقل السليم، العقل الذي يستند إلى الحقائق، وليس الذي يستند إلى الحدس وإلى الظنّيات، الإنسان (طبعاً الناقص) حينما يريد أن يحكم على شيء يستند إلى معلوماته، وبما أن معلوماته ناقصة وذهنه قاصر، فقد يصدر أحكاماً خاطئة، نحن كلنا خطأون وقد نخطأ في التفكير.

قد تقول لي: كيف تقول: إن العقل نتائجه دائماً سالمة وطيبة؟

أقول: نحن نقصد بالعقل الفطرة السليمة التي فطر الله الناس عليها، والذي هو دائماً كامل في أهل البيت عليهم السلام، هذا العقل الذي لا يلحقه شيء من الغبار أو السوء أو عدم الوضوح، هذا العقل الذي نقصده الذي هو في داخلنا مغمور بالأتربة والغبار، ما الذي يخرج هذا العقل من هذه الحفرة العميقة ويخلصه من هذا المصير الأسود؟ التفكير يفعل ذلك، يعني تحريك العقل نفسه، نفس العقل إذا تحرك من جديد يحيي نفسه، ويضع يده على مواقع الخطأ والسوء والنقص ويرفعها، التفكير عملية لا بد منها للإنسان للمحافظة على عقله والوصول به إلى الكمال.

وسائل تقوية العقل:

والعقل عطية كبيرة من الله، وهناك وسائل للحفاظ عليه وتقويته، وهناك وسائل لطمسه، من وسائل تقوية العقل:

١ _ التفكير، والمراجعة «ليس منا من لم يحاسب نفسه»^(١)

(١) عن الإمام موسى الكاظم عليه السلام قال: «ليس منا من لم يحاسب نفسه في كل يوم، فإن عمل حسناً استزاد الله، وإن عمل سيئاً استغفر الله منه وتاب إليه». أنظر:

الكافي / الكليني ٢: ٤٥٣ / باب محاسبة النفس / ح ٢؛ وسائل الشيعة / الحر

العالمي ١٦: ٩٥ / باب ٩٦ / ح ١.

محاسبة النفس نوع من التفكير، في كل يوم يحاسب المرء نفسه: ما الذي جرى؟ ما الذي قال؟ هذا يحيي العقل ويقويه.

٢ _ استشارة العقلاء. وقد ورد عنهم عليهم السلام: «ومن شاور الرجال شاركها عقولها»^(١).

أما ما يضعف العقل فأمر منها:

١ _ الحديث في الباطل. وفي ما لا ينفع.

٢ _ الكلام الكثير.

٣ _ الاستخارة في غير محلها.

هناك أناس يستخرون على الأكل والشرب والنوم و... ولا يعتمد على عقله هذه اليد إذا شدها الإنسان إلى ظهره مدة من الزمان دون أن يسمح لها بالحركة الطبيعية ستتكلس ولن تعود قادرة على الحركة المعتادة الطبيعية. وبعد فترة إذا فتح يده سيرها عاجزة عن الحركة، وستحتاج إلى مدة من العلاج الطبيعي حتى يمكن أن تتحرك وتعود إلى سابق قوتها وفعاليتها، العقل الذي يجمده الإنسان فترة طويلة أو قصيرة ثم يحتاجه فلن يقدر على مساعدته، سيجمده عاجزاً أو ضعيفاً، لماذا؟ لأنه لم يعطه دوره، لم يدر به على العمل، بل حبسه وعطله، فالاستخارة قبل التفكير تنتج ذلك. مع تأكيدنا على ورود الاستخارة وشرعيتها بل واستحبابها، لكن بأصولها وآدابها الواردة عنهم عليهم السلام. بالشكل الذي يحفظ للعقل دوره في اتخاذ القرارات.

(١) نهج البلاغة ٤: ٤١: ١٦١.

المعلم الثالث: (العبودية):

قال الله تعالى: ﴿قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا﴾^(١).
 هذا المعلم هو تأكيد أهل البيت عليهم السلام على العبودية، حيث
 الناس على توفير صفة العبودية والشعور بالحاجة والذل بين يدي الله
 تبارك وتعالى. الآية الكريمة التي قدمنا بها الحديث توضح الأسلوب
 الذي عرف به عيسى عليه السلام نفسه أمام الناس، وتعلمون أن الإنسان في
 أول لقاء يحاول أن يعرف نفسه بتعريف حقيقي بالغ في النفوس، النبي
 عيسى عليه السلام في أول لقائه مع الناس قال: ﴿قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ
 وَجَعَلَنِي نَبِيًّا﴾ وأول كلمة عرف نفسه بها هي أنه ﴿عَبْدُ اللَّهِ﴾.

إذاً العبودية لله، كما يعتبرها الأنبياء والصالحون حجر
 الزاوية في شخصية الإنسان المؤمن المرتبط بالله تبارك
 وتعالى، لذلك نجد أهل البيت عليهم السلام في تصرفاتهم وفي
 أعمالهم شديدي التواضع لله، اقرأوا ادعيتهم كدعاء أبي
 حمزة، ودعاء السحر، ودعاء الافتتاح وغيره، تجدون في هذه
 الأدعية روح التواضع، حينما يأتي جماعة ويسلمون على أمير
 المؤمنين عليه السلام ويعظمونه جداً إلى درجة تقترب من الغلو.
 الرواية تقول: أن أمير المؤمنين عليه السلام يفرع وينزل عن دابته
 ويعفر خديته في التراب ويقول إنما أنا عبد من عبيد الله،^(٢) لم

(١) مريم: ٣٠.

(٢) أنظر: دعائم الإسلام/ القاضي النعمان المغربي ١: ٤٨؛ شرح نهج البلاغة/ ابن

أبي الحديد ٥: ٦.

نعم، حينما تفكر ولا تصل إلى نتيجة وتقف أمام مفترق طرق
 حينذاك يأتي دور الاستخارة، هناك روايات تؤكد على استحباب
 الاستخارة وأنها مستحبة، طبعاً الاستخارة بمعنيين:

١_ طلب الخير من الله تعالى والتوكل على الله والاقدام
 على العمل.

٢_ هي العملية التي نجريها بالسبحة أو بالقرآن.

إذاً الاستخارة تأتي بعد التفكير وبعد إعطاء العقل دوره.

الخلاصة:

نرجع إذاً ونقول: التفكر مما يقوي العقل، وهناك أمور من
 شأنها أن تضعف العقل، والعقل إذا ضعف وأصبح الإنسان ضعيف
 العقل أي أحقماً، سيضعف كل شيء في حياته، روحه تضعف، عمله
 سيعود بلا قيمة، إذا كان الله يعطي للعقل والعالم ثواباً استثنائياً على
 أعماله فلن يكون نصيب الجاهل من ذلك إلا اليسير، ولذلك تقول
 الرواية: «نوم العالم أفضل من عبادة الجاهل»^(١) الجاهل مستيقظ يعبد
 ويصلي، والعالم بعقله المستتير نائم في تلك اللحظة، الله يسجل للعالم
 ثواباً أفضل من ثواب الجاهل في يقظته، إذاً لاحظوا أثر العقل، العقل
 أصبح محوراً للثواب والعقاب، لدينا رواية صريحة «إنما أجازي العباد
 على قدر عقولهم»^(٢).

(١) مكارم الأخلاق/ الطبرسي: ٤٤١؛ بحار الأنوار/ المجلسي ٧٤: ٥٧.

(٢) في حديث أخذنا منه موضع الحاجة، أنظر: بحار الأنوار/ المجلسي ٦١: ١٩٦.

يقول أنا عبد متميز، بل يذلل نفسه إلى هذه الدرجة، يقول: أنا واحد من هؤلاء العبيد، وهكذا بقية الأئمة الأطهار، حينما يتلى الإمام الصادق عليه السلام ببعض الغلاة الذين يدعون عليهم باطلاً، الإمام عليه السلام يلغنه يقول: «... ها أنا بين أظهركم لحم رسول الله ﷺ، أبيت على فراشي خائفاً وجلاً مرعوباً، يأمنون وأفزع...، أبرأ إلى الله مما قال في... أبو الخطاب لعنه الله...»^(١)

إذاً أسلوب أهل البيت عليهم السلام هو التركيز على العبودية، وقد مارسوا ذلك في حياتهم، في تصرفاتهم، في أقوالهم، كان النبي ﷺ يجلس جلسة العبد (كما في الروايات)^(٢) ويأكل مع الفقراء، وإذا دُعي إلى طعام الفقراء استجاب، كل ذلك تواضعاً منه لله تبارك وتعالى، حينما يُتعب نفسه بالعبادة يأتيه جبرائيل يقول له: ﴿طه * ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى﴾^(٣) يقول له: «أفلا أكون عبداً شكوراً»^(٤).

صحيح أن الله ضمن لي الجنة والدرجة والمنزلة ولكني أحب أن أكون عبداً شكوراً.

(١) اختيار معرفة الرجال / الطوسي ٢: ٤٩٢.

(٢) قال أمير المؤمنين عليه السلام: «ولقد كان رسول الله ﷺ يأكل على الأرض، ويجلس جلسة العبد، ويخصف بيده نعله، ويرقع بيده ثوبه...». أنظر: نهج البلاغة ٢: ٥٩ / ح ١٦٠.

(٣) طه: ١ و٢.

(٤) الكافي / الكليني ٢: ٩٥ / ح ٦ (باب الشكر)؛ أمالي / الطوسي: ٦٣٧؛ الاحتجاج /

الطبرسي ١: ٣٢٦.

آثار الشعور بالعبودية:

دعنا ندخل إلى آثار هذا الشعور (الشعور بالعبودية):

الشعور بالعبودية يخرج الإنسان من أوصاف الرذيلة التي يتلبس بها الطواغيت، الإنسان مغرور متكبر ﴿كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُفٍ﴾ * أَن رَأَى اسْتَعْنَى ﴿١﴾ الرواية تقول: «ثلاث لو لا أن يتلى بها الإنسان لا دعى ما ادعى وإنه معهن لوثاب: ١ - الموت ٢ - الفقر ٣ - المرض»^(٢) هذه ثلاثة أشياء الله أرغم بها أنف الإنسان، لكن مع ذلك هو وثاب، الوثاب يعني ماذا؟ يعني يتناول إلى ما هو أكثر من حده، ويتوقع أكبر من حجمه، فرعون كان يمرض ومع ذلك كان يقول: ﴿أَنَا رَبُّكُمْ الْأَعْلَى﴾^(٣) المشكلة في ادعاءه أنه (الأعلى) حيث كانت عندهم أرباب مختلفة يزعمونها، فلم يقل أنا رب الأرزاق، أنا رب القوة، رب الجيوش، لا بل قال: أنا ربكم الأعلى، هكذا بلغ به الغرور، مع أنه كان ضئيل الجسم، وكان يعلم بأنه يموت كما يموت الغير، إذاً ما هو دواء الإنسان؟ ما هو دواء هذه الصفات الرذيلة التي تخرج الإنسان عن حده وتجعله مبغوضاً لله ﷻ بعيداً من رحمته مطروداً من عطائه؟ الدواء هو العبودية، العبودية هي الصفة التي إذا وفرها الإنسان في نفسه فقد وضع يده على سر الأسرار، أحد الأشخاص (وهو عنوان البصري)

(١) العلق: ٦ و٧.

(٢) قال رسول الله ﷺ: «لولا ثلاث في ابن آدم ما طأطأ رأسه لشيء: المرض، والموت، والفقر، وكلهن فيه وإنه معهن لوثاب». أنظر: الدعوات / الراوندي:

١٧١ / ح ٤٧٩؛ عنه بحار الأنوار / المجلسي ٦٩: ٥٢.

(٣) النازعات: ٢٤.

قصد المدينة وأراد أن يتشرف بخدمة الإمام الصادق عليه السلام، يأخذ عنه العلم، فرفضه الإمام عليه السلام، فاغتم لذلك وخرج من عنده ودخل مسجد النبي صلى الله عليه وآله، فصلى ركعتين واستجار برسول الله صلى الله عليه وآله، قال: اللهم بحق رسولك أعطف قلب جعفر بن محمد عليّ، حتى يفتح بابه ويعطيني من علمه، بعد هذا الدعاء استقبله الإمام وبدأ عليه السلام يعطيه شيئاً من الإرشادات لطلب العلم، الرواية جميلة جداً أنصح الأخوة والأخوات بقراءتها وهي موجودة في كتاب أصول الكافي باب فضل العلم، من ضمن ما يرشد إليه الإمام (عنوان البصري) يقول له: «واطلب في نفسك حقيقة العبودية»^(١).

هذه الجوهرية التي يجب أن نبحث عنها وأن نصرف أوقاتنا وحياتنا بحثاً عنها، جوهرية العبودية هذه إذا استطاع الإنسان أن يكتشفها وينمّيها وتكون هي محور حياته يكون قد دخل في عباد الله الصالحين «وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ»^(٢) الله يدخل برحمته أناساً في عباده الصالحين، أولئك الذين يستشعرون العبودية الحقّة.

العبودية الحقّة أمر واضح، قد نسأل: أنا أعلم أنني عبد الله، كلنا يعلم بذلك، لا أحد يدعي أنه هو الخالق، ولا أحد يدعي أنه هو الشريك لله، ولا أحد من المسلمين يدعي أنه مخلوق لغير الله، كلنا نسلم أننا عبيد مربوبون مخلوقون لله تبارك وتعالى، إذا ما الذي نريده ونطلبه من حقيقة العبودية أكثر من ذلك؟

(١) أنظر نص الرواية في: مشكاة الأنوار/ الطبرسي: ٥٦٢؛ بحار الأنوار/ المجلسي

١: ٢٢٤/ح ١٧.

(٢) النمل: ١٩.

المسألة ليست مسألة أن نعرف أننا مخلوقون مربوبون، وأن نقول ذلك، المسألة مسألة أن نعيش ذلك لحظة بلحظة، أن نعيش العبودية لحظة بلحظة، أن نعيش حالة الحاجة والافتقار إلى الله، حينما أخرج إلى عملي صباحاً وأتعرض لمشكلة أول ما أفزع إلى من؟ هل أفزع إلى الله تعالى؟ أم إلى غيره؟ هذا هو المقياس.

لاحظوا حينما يقع الإنسان في ضيق أو في مشكلة إلى أين يفزع قلبه؟ أول جهة يتعلق بها القلب ما هي؟ أنه يعبدها، إذا كان قد فزع إلى الله فهو عبد الله، وإذا فزع إلى فلان وفلان بأن يقول: أنا عندي فلان القوي، أو فلان عشيرة، أو عناوين مختلفة وجهات قوة، ففي الواقع المعبود هو تلك الجهات. الإنسان حينما يتضايق مادياً أو تضغطه مشاكل الحياة هل يلجأ إلى غير الله؟ طبعاً ليس هناك مانع، ولا نقول أن اللجوء إلى غير الله كفر أو شرك أبداً، لكن نقول القلب بمن يتعلق، فلا مانع من أن يستعين الإنسان بشخص، (الناس بالناس) لا أحد يقدر أن يستغني عن الناس، لذلك روي أن شخصاً عند الإمام زين العابدين عليه السلام، قال بحضرتة: اللهم أغنني عن خلقك، الإمام يصحح له يقول له: لا تقدر هذا أمر غير ممكن، أنت سألت الله تعالى أمراً غير ممكن، ما دمت إنساناً مخلوقاً لا بد أن تحتاج إلى الخلق، «إنما قل اللهم أغنني عن شرار خلقك»^(١).

فليُنظر إلى الناس كأسباب، ويُنظر إلى الله تعالى كعلّة أولى وأساسية

(١) أنظر نص الرواية في: تحف العقول/ ابن شعبة: ٢٧٨؛ بحار الأنوار/ المجلسي

وأخيرة، الله إذا أراد شيئاً جرى ذلك الشيء وإذا لم يرد لا يجري، هذه هي العبودية التي نبحث عنها، العبودية التي في مقام العمل، حينما تمتحن بأنواع الامتحانات في الحياة، إلى أين تفرغ قلوبنا وإلى أين تلجأ، هذا هو الكلام.

العبودية الحقّة هي التي تجعل الإنسان يستغني بالله عن كل شيء. فتجد المؤمن العبد الحقّ نادراً ما يسأل الناس وبقدر الضرورة والحاجة الملحة فقط.

العبودية هي التي تتحقق من الإنسان إذا واجه تكليفاً صعباً، لا يناقش

ويقول: هذا الحكم الشرعي ليس له معنى، وهذا ليس له محل، وإن كان تشريعاً إسلامياً لكننا لدينا قراءة مختلفة والزمن اختلف، الموسيقى لماذا

حرام؟ وأن الموسيقى الآن جزء من الثقافة وأصبحت جزءاً من الفنون، إلى آخره من هذه الطرق الملتوية. العبد الحقيقي هو ذلك الإنسان الذي يسلم

لأوامر الله ولا يناقش فيها ولا يحاول أن يتهرب منها بأعذار مختلفة، أما الذي يناقش في هذه المسائل فليس بعبد، لأنه جعل نفسه شريكاً مع الله، وهذا

يخرجه من حالة العبودية، إذا العبودية مواقف وليست أقوال، العبودية معاني في القلب وليست قشوراً. العبودية هي التي جعلت إبراهيم عليه السلام - أبو الأنبياء

وأبونا - يقف ذلك الموقف العظيم حينما كان في الهواء وقد رُمي بالمنجنيق وما بينه وبين أن يقع في النار الملتهبة المحرقة إلا ثوان قليلة جداً، يأتيه

جبرائيل، الله يقول لجبرائيل أدرك خليلي إبراهيم، فيأتيه وهو في الهواء، قال: هل من حاجة؟ قال: أما إليك فلا، وأما إلى الله فنعم، قال: فاسأل ربك، قال:

علمه بحالي يغني عن سؤالي.^(١)

(١) انظر: علل الشرائع ١: ٢٦/٦؛ عيون أخبار الرضا عليه السلام ١: ٦٠؛ الخصال: ٣٣٥/

هذا الحد من العبودية، هذه الدرجة من التوحيد إنما نشأت من ذلّ إبراهيم بين يدي ربه، وعبودية إبراهيم، هذه العبودية التي بلغت ذراها وأقصاها حتى استحق إبراهيم بذلك أن يقول الله تعالى للنار: ﴿يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ﴾^(١) يقع إبراهيم في النار ويقينه لا يختلف، يسقط في النار ويقينه لا ينتهي بالله تعالى، يجد نفسه في وسط النار ويقينه قائم لا يقل ولا يضعف، وإذا بالنار لا تحرقه.

هذا هو الذي نطلبه، العبودية التي أكد عليها أهل البيت عليهم السلام هي تلك الحالة والشعور من العبد إزاء ربه بنفي أيّ قيمة للعبد إزاء الله تعالى ﴿قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي ضَرًّا وَلَا نَفْعًا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ﴾^(٢).

قل - الله يلقن العبد ويلقن البشر عن طريق نبيّه - هذه المقالة واشعر بها عشاها في كل لحظاتك، لا أكون لحظة متكبّراً، ولحظة

أخرى أصير عبداً، حينما أقف بين يدي الله تعالى أصلي وأتواضع وتخضع جوارحي، وحينما أولي عن الصلاة وألتفت إلى معيشتي وإلى

عملي وإلى أيّ مجال من مجال الحياة أستكبر، وأرجع وأنا ذلك المتكبر الذي يناقش في الأحكام الشرعية أو يحاول التخلص منها.

في كل لحظة من حياتنا إذا لم يكن الله تعالى ممسكاً بأيدينا ومقوماً لوجودنا لسقطنا مباشرة، الطفل الصغير هذا الذي يأتي إلى الدنيا ولا يستطيع

أن يمشي إلا أن يمسك الكبير بيده، الكبير إذا أراد من الطفل أن يقع فليس هناك حاجة بأن يدفع الطفل لیسقط، يكفي فقط أن يسحب يده عنه، فإذا

(١) الأنبياء: ٦٩.

(٢) يونس: ٤٩.

سحب يده فالطفل سيقع تلقائياً لأنه هو بنفسه غير قادر على المشي، الإنسان هكذا، علينا أن نستذكر هذا المثل دائماً، نعيش هذه الحالة أبداً، إن الله تعالى إذا أراد أن يسحب منّا التوفيق فقط و يرفع يده عنا، ويكلنا إلى أنفسنا طرفة عين، ما الذي يحصل بنا؟

لا يحتاج السقوط إلى أن يرمي بنا أو يسقطنا، هو فقط يرفع يده وإذا بنا نهار، لأننا بوجودنا وبكل قدراتنا مرتبطون بهذا المطلق، مرتبطون بتلك القدرة الفاعلة، فإذا رُفِعَ هذا اللطف عنا سنجد أنفسنا بلا ظهر وبلا سند، بلا قوة، بلا أيّ مقوم في هذه الحياة، سنسقط.

فما هي قيمتي إذا صار عندي أموال، أو إذا أصبحت فلاناً بن فلان، أو أصبحت رئيساً ووجيهاً.

فرعون أمهله الله أربعين سنة، ثم رفع عنه يده في لحظة واحدة وهي لحظة الغرق، انتهى فرعون ومن معه، ما قيمة فرعون في تلك اللحظة؟ وما قيمة جيوش فرعون وسطوة فرعون والناس التي كانت تخاف منه والدولة المرتبطة به؟ دولة فرعون من أعظم دول التاريخ. سقطت في لحظة واحدة.

إذاً الإنسان العبد لله تعالى عليه أن يعيش دائماً حالة الضعف المستمر أمام الله ﷻ، يكون دائماً في خوف من الله بأن يرفع يده تعالى عنه، متعلق دائماً به وبرحمته. كلما تعرض لمشكلة فقلبه وعينه وجوارحه متجهة إليه، وكلما تعرض لبلاء يده ترفع إليه، قلبه لا يذهب إلى غيره، لماذا؟ لأن القلب هو الفطرة كما ذكرنا.

هذا القلب، هذا المكان المقدس الطاهر لا ينبغي أن يرتبط بغير خالقه، فإذا ارتبط بغير خالقه، وأصبح غير الخالق هو المفزع صار القلب ملوثاً وأصبح

مشركاً، لذلك فإن الشرك على أنواع: هناك شرك يستحق به الإنسان القتل، يعني يكون الإنسان نجساً إذا صرح الإنسان بأنه يعبد الأصنام مثلاً. وهناك نوع آخر وهو أن يفزع الإنسان إلى البشر في مشاكله وهمومه.

وهذا نوع من حماقة من الإنسان، الإنسان الذي يعلم أنه فقير وأنه لا يدركه إلا الله يأتي يتشبث بفقير مثله أو أسوأ منه، هذا شيء غريب، الإنسان عادة إذا أراد أن يحل مشكلة يذهب إلى القوي، وإذا أراد أن يسد فقراً يذهب إلى الغني، أما أن يأتي فقيراً مثله أو أضعف منه، فهذه حماقة وعلينا أن نخرج أنفسنا من هذه الدائرة، وننظر دائماً إلى القوي العزيز الذي يستحق اللجوء إليه.

إذاً يجب على الإنسان أن يكون عبداً داخراً إلى الله، والداخر هو الذليل الذي لا يشعر بقيمة نفسه أمام ربه. ولكم أن تقرءوا الأحاديث والروايات والأدعية، هذا دعاء (أبي حمزة الثمالي العظيم) لا يفوتكم هذا الدعاء، إن لم تقدرُوا على قراءته كاملاً فقسطوه في كل ليلة أقرأوا مقداراً منه، ففيه من الدروس والارشادات، والروح العالية ما لا يستغني عنه المؤمن، نحن لو لا بركات أهل البيت ﷺ في أدعيتهم ما علمنا ولا عرفنا كيف نخاطب وندعو ربنا في ليالي رمضان وغيره من الأيام.

المعلم الرابع: (تبسيط الأمور وتيسيرها):

معلم آخر من المعالم في طريقة أهل البيت ﷺ في تربية النفس وتزكيتها، هذا المعلم هو: تبسيط الأمور وتيسيرها، في طريق التزكية هناك أساليب مختلفة، وهناك درجات من السهولة والصعوبة، أهل البيت ﷺ كأئمة للجميع (لا نعتقد أن الإمام الصادق مثلاً إمامنا فقط) بل هو ﷺ إمام

الخلق أجمعين، إمام الثقلين (أي إمام الإنس والجن) الإمام مسؤول عن الجميع، مسؤول عن ارشاد الجميع وعن هدايتهم، فما يصدر منه من تعاليم ليس صادراً لي فقط، أو لفلان الذي في الحوزة، أو للشيعنة فقط، بل هو صادر للخلق أجمع، وكذلك الإمام المهدي عندما يظهر سنجد الشعوب جميعاً تستفيد من ثقافة أهل البيت عليه السلام على حد سواء، هذه الروايات والأدعية ستكون في متناول كل الشعوب.

ثقافة أهل البيت عليه السلام ثقافة إنسانية عامة، ثقافة عالمية، لا تتحدد بشخص، ولا تتحدد بشعب.

ماذا يعني هذا؟ هذا يعني أنها ثقافة تتناول كل مستويات البشر، وكل مستويات التفكير، وكل مستويات الصبر عند الناس.

لاحظوا: مرةً توجّه لي دعوة أن أتكلم في دورة من الدرس لطلاب ومستويات معينة، عندها سيكون الحديث في مستوى معين، أما عندما يقال لي سيدنا الحديث سيكون للملأ، حينئذ يجب عليّ أن أتحدث بطريقة يفهمها كل الناس وكل المستويات، الإمام عليه السلام حينما يتحدث في التزكية والتربية الأخلاقية فهو يخاطب الخلق أجمعين. ويطلب منهم جميعاً أن يصلحوا نفوسهم، ولا يمكن افتراض خصوصية لنخبة معينة في هذا الخطاب.

موضوع التزكية حينما تحدث عنه أهل البيت عليه السلام تحدثوا مع كل مستويات الخلق، ولكن في بعض الأحيان كانوا عليه السلام يتحدثون مع بعض الأصحاب بمستوى معين، مثلاً: عندما يأتي زرارة أو محمد بن مسلم الثقفي، فالإمام عليه السلام يتحدث معهم بمستوياتهم الفكرية

والروحية، هؤلاء فقهاء عظماء، لكن الأئمة عليه السلام في مشروعهم التربوي والثقافي تحدثوا للناس جميعاً. لأنه مشروع إنساني عام لا يستبعد منه أحد. والتزكية ليست حكراً على محمد بن مسلم أو زرارة.

أرشدوا الناس إلى أيسر الطرق، أقلّ الناس يستطيع أن يهتدي، ويستطيع أن يكون واصلاً إلى رضوان الله تعالى، من الإنسان العامل ذي الحرفة البسيطة في الشارع إلى الإنسان العالم، كلهم يستفيد من كلام أهل البيت عليه السلام كلُّ بقدره.

من هنا ينبغي التنبيه على ما يشيع في بعض الأوساط من أساليب معقدة وصعبة للتزكية، هذه يجب أن يضع عليها الإنسان علامة استفهام، يعني عندما تجلس عند أحد تسمع منه: أنك إذا أردت أن يصفو قلبك، وتبلغ إلى مراتب ينكشف لك الغيب، أو تصبح شفافاً، فعليك بالالتزام بهذه الأذكار، في أوقات معينة، في حال معين، أن لا تأكل في بيت أحد، تأكل في بيتك من خبز ولبن حيث تعرف من أين اشتريته، أما إذا دُعيت إلى مكان فلا تأكل، حينما تريد أن تمارس الذكر تجلس وحدك لا يراك أحد ولا ترى أحداً، الذكر ليس ١٠٠ مرة أو ألف مرة بل عشرات الآلاف من المرات، هذه التعاليم (وهي موجودة) عندما نسمعها يجب أن نضع عليها علامة استفهام.

السؤال الأول الذي نوجهه إلى مصدر هذه التعاليم: نقول له: من أين لك هذا؟ من أين جئت بهذه التعاليم؟ نصّبت نفسك طبيياً، هل أنت مخولّ بهذه الطبابة؟ وهل كل من يدعي الطبابة صدقه؟ كل من ادعى أنه جراح أو طبيب يستطيع اليوم أن يفتح عيادة ويمارس تطيب

الناس وعلاجهم؟ لا طبعاً، بل هناك اجراءات قانونية معينة يثبت بها أنه طبيب حقيقي ومخول بممارسة النوع الفلاني من التطبيب، وإلا سيلقي القبض عليه ويكون تحت طائلة القانون.

جيد، هذا في مجال البدن نحن حريصون جداً على أن لا نسلم أبداننا إلى المدعين، في مجال الروح الأمر سيكون أصعب وأخطر بكثير، نقول لمن يدعي هذا المقام ويعطي هذه التعاليم: إن كان هذا الكلام من أهل البيت عليهم السلام فجيد جداً ولا بد أن يكون كلامه مسنداً بالمصادر المعتبرة عند الطائفة، (أصول الكافي، أو مهج الدعوات، أو المصباح) أو غيرها. وأما إذا قلت لي أنها من مجربات الأصحاب أو من مجرباتي الشخصية، أقول لك: المعذرة، أنا لا أسلم قلبي الذي أريد مداواته وروحي التي أريد تصفيتها إلى من لا أثق بصلاحيته، بل أسلم قلبي وروحي إلى الأطباء الحقيقيين وهم أهل البيت عليهم السلام، أو من حمل عنهم ونقل عنهم. ودواء الروح لا يأتي إلا من الوحي وأطباء النفوس، إذاً نرجع فنقول: هذه الأساليب تجدونها عند بعض من يدعي القرب والمقامات والأساليب الصوفية أو العرفان الفلسفي.

وقد رأينا كثيراً ممن مارسوا هذه الأساليب وانحرفوا خلف أولئك الناس قد تعبوا، لأنه عمل مُضَن جداً، ليس كل إنسان يقدر على ذلك، فبعضهم ينهار، وبعضهم يصاب بلوثة في عقله، وبعضهم يهرب فهذه الأساليب ليست أساليب أهل البيت عليهم السلام، بل أساليبهم مبنية على التيسير، على الفطرة، لأن المخاطب بذلك كل الناس ليكون كل الناس قادرين على هذه الأفعال. ولذلك تجدون في باب الذكر

في أصول الكافي في آخر المجلد الثاني في فضل قراءة القرآن وفي فضل الذكر تجدون أذكار مذكورة مثلاً: أن ذكر (لا إله إلا الله) يملأ الميزان، وما في الميزان شيء أثقل من (اللهم صل على محمد وآل محمد) وغير ذلك من أذكار أداؤها سهل على الناس.^(١) فطريقة أهل البيت مبنية على التيسير والسهولة، أما التعقيد فهذا أمر يجب أن نستوحش منه، ونبتعد عنه في موضوع التزكية.

التزكية والعُجب:

أهل البيت عليهم السلام أكدوا أن هذا الأمر أمر طبيعي وفطري في الإنسان، ولا يُعد ذلك العمل شيئاً يستحق من الإنسان أن يعجب بنفسه، لماذا؟ لأن الإنسان في صدد أن يرجع إلى إنسانيته، أهل البيت عليهم السلام يَسْطُونَ الأمر لنا لكي يخرجونا من الرياء، أكدوا عليهم السلام أن عملية التزكية والسير إلى الله إنما هي عملية بسيطة، وليس هناك داع أن يشعر الإنسان بعجب أو يرائي الناس، وإنما هي قضية من قبيل أن يقع إنسان في الوحل فيسرع إلى داره يغسل بدنه ويرجع كما كان، هل هذه قضية يمكنه أن يفتخر بها؟

أو يقول للناس أنظروا ذهبت إلى الحمام! ليس في هذا شيء يستحق الفخر، بل بالعكس حينما يكون الإنسان قد رجع إلى حقيقته وغسل الأدران عن نفسه يكون قد أخذ وضعه الطبيعي ولا يحتاج أن يرائي أحد، أو أن يشعر أن له فضلاً على أحد من الناس.

ومع الأسف هناك الكثير ممن يلزم نفسه ببرامج التزكية يشعر

(١) أنظر: الكافي / الكليني ٢: ٤٩١ - ٥٤٧.

بالعجب، فيرى لنفسه فضلاً على الآخرين، ودالة على الله نفسه، هذا في الواقع هلاك، بدل أن يخرج هذا نفسه من حفرة الاستكبار يطمس نفسه ويغرق نفسه في وحل التكبر والعجب.

الإمام دائماً عندما يرشد أصحابه إلى التزكية يرشدهم إليها بهذا الشكل، ارجع إلى فطرتك، إلى ذاتك، إلى حقيقتك، نظّف نفسك لا أكثر، فالإنسان الذي ينظّف نفسه ليس له أن يرائي، ولا هناك داع بأن يعجب بنفسه، هذه هي الحقيقة التي يجب أن ندرکها دائماً، حينما يوفّق أحدنا لصلاة الليل، ويوفّق للصوم وللصدقة، ومجاهدة النفس، يعني يوفّق للتزكية بشكل عام عليه أن يتواضع أمام الله ﷻ وأن يكون خائفاً وخجلاً من ربه، ما هذه الأوساخ التي لحقت بي؟ أحتاج إلى عمر طويل حتى أغسلها عن نفسي.

مع الأسف بعض من الناس عندما يصلي صلاة الليل أو غيرها من الأعمال يتوقع من الناس أن يسلموا عليه أو يقبلوا يده وما إلى ذلك، ما الذي جرى؟ وما الذي حدث؟ كونك بدأت بتزكية نفسك ولا فخر في ذلك، أن يكون الإنسان قد بدأ ينظّف نفسه من الأدران، ينبغي لنا أن نلتفت إلى هذه الجهة، محور أساسي من محاور طريقة أهل البيت عليهم السلام في التزكية التنبيه على هذه المسألة: أن التزكية تنقية للأدران عن النفس وإرجاعها إلى الفطرة وإلى القلب الناصع، فإذاً ليس هناك داع للرياء. ولا للتكبر ولا للشعور بالأفضلية على أحد.

أحد المراجع جاءه بعض الطلبة فجلس عنده، وجاء جماعة إلى المرجع من منطقة في العراق وطلبوا من السيد المرجع بأننا نريد عالماً يصلي بنا جماعة ويعلمنا الأحكام، يقول هذا الطالب: المرجع نظر إليّ وقال: تعال

إلى جنبي، ثمّ قال: هل يمكنك أن تذهب معهم إلى منطقتهم تصلي بهم جماعة وتعلمهم الأحكام؟ وكنت طالبة في بداية حياتي ولا أتقن هذه الأمور بشكل جيد، قلت: سيدنا أنا أخاف من الرياء ومن العجب، أجبني السيد بجواب نفعتني إلى منتهى حياتي (الرجل عندما قصّ لي هذه القصة كان عمره ٧٠ سنة، عالم جليل ووكيل لكل المراجع) يقول: سمعت هذا الكلام وأنا شاب وتربيت بهذه الكلمة.

يقول: قال لي: هذا العمل (أي صلاة الجماعة وتعليم الأحكام) لا يستوجب العُجب ولا الرياء وإنما هي صلاة كما تصلي في بيتك، صلّي بهم جماعة، فالأمر لا يستحق أن تكبّره بهذه الدرجة. يقول: أرجعني إلى حقيقة أن العمل الذي نعمله جداً يسير ولا يستحق من الإنسان أن يرائي أو يعجب به.

نقول إذاً: موضوع التزكية بالضبط هكذا، فهو ليس أمراً يستحق العُجب ولا التكبر، بل هو أمر يستحق التخصّي وليس الرياء، فهو يحتاج إلى التخصّي أكثر من الاظهار، كما قلنا أن الإنسان يغتسل لإزالة الأوساخ عن بدنه، فهل هذا يحتاج إلى الاظهار، هكذا يجب أن نتعامل مع أدراننا وعيوبنا.

بعض من الناس يمارسون أعمال رياضية روحية، فعندما يذهبون إلى مكان ما لا يأكلون من طعام الناس، هذا في الواقع خروج عن حدود الشرع وإيذاء للمؤمنين من حيث لا يشعرون، إنهم يقعون في خطأ وفي ذنب إيذاء المؤمن، اذهب وكُلّ ولا عليك أن تسأل من أين أتيت بهذا الطعام، نعم إلا إذا كان الإنسان من غير المسلمين.

فإذاً لاحظوا برنامج أهل البيت عليهم السلام الذي هو برنامج الفطرة، فيه لا

يقع الإنسان في حيرة ومشاكل، بل بالعكس يأخذه أخذاً لطيفاً سمحاً يوصله إلى الغاية، ويصبح الإنسان صاحب ذوق وصاحب أخلاق مع الناس.

أما الأساليب الأخرى التي فيها التعقيد والالتواء ففي الواقع تشكل عداوات بين الناس وتنفّر الآخرين منه، لأنه في الواقع يجرح ذاك ويؤلم قلب هذا ويصدم ذاك، وبالنتيجة هو يظن بأنه سائر إلى الله وإذا به يؤذي الناس ويجمع عداوات دون أن يشعر، لكن السالك في طريق أهل البيت عليهم السلام يجمع محبة القلوب إلى رضا الله تعالى «كونوا لنا زيناً ولا تكونوا علينا شيناً حبوناً إلى الناس ولا تبغضونا إليهم»^(١).

الإمام أمير المؤمنين عليه السلام يمشي ومعه جماعة يسكب ماء إلى جنبهم واحد من جماعة أمير المؤمنين يقول: يا مولاي هذا الماء نجس يدير له أمير المؤمنين وجهه ويقول: «وما عليك الا تكون قد سألت وقد نظرت...» لماذا تسأل (كل شيء لك طاهر حتى تعلم بنجاسته) نحن غاية ما نصله من الإيمان أن نلتزم بأوامر الله.

الله تعالى (هكذا قال): «اللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى اللَّهِ تَفْتَرُونَ» ما علمت أنه نجس طهره، وما لم تعلم لا تسأل، أما بهذا التشدد يتعد المرء عن الله ويقرب من الشيطان.

لاحظوا الرواية: شخص جلس عند الإمام الصادق عليه السلام فذكر سيرة رجل فقال: فلان عاقل، فقال له الإمام: «وأي عقل له وهو يطبع الشيطان»، يقول: استغربت، ذهبت إلى الرجل، فقلت له: ما هي قضيتك؟ ذكرتك عند

(١) وسائل الشيعة/ الحر العاملي ١٢: ٨/ ح ٨/ ١٥٥٠٢؛ بحار الأنوار/

الإمام فقال فيك كذا، فتأسف وقال: نعم عندي وسواس بالطهارة مبتلى بالوضوء والصلاة، صدق الإمام الشيطان متسلط علي^(١).

إن مسألة تزكية النفس مسألة مصيرية بالنسبة لنا، فكما أن الإنسان يهتم ببدنه وأعضاء بدنه، ويقطع المسافات الطويلة طلباً للعافية وطلباً للأطباء الأفضل، ويصرف كل ما بوسعه لاجراء عملية أو شراء دواء، ينبغي له أن يشعر ويهتم أكثر بالنسبة إلى روحه وقلبه، طبعاً المسألة واضحة والفرق واضح.

البدن مهما جرى عليه ولحق به من أذى وأمراض سينتهي ذلك بالوفاة. والوفاة بالنسبة إلى البدن هو أن ينزع الإنسان ذلك اللباس ويلقيه بعيداً، هذه هي الوفاة، البدن هو لباس لا أكثر، ثوب بال لحقه المرض، لحقه الشيب، فيرفعه الإنسان ويلقيه بعيداً.

فبعد الموت ينتهي الإنسان من مشاكل البدن وذلك المرض الذي كان يشعر به في الدنيا، لأن المرض كان متعلقاً بالبدن.

أما مشكلة الروح، فتعالوا لننظر إلى أن الأمراض التي تتعلق بالروح هل تغادرنا بعد الموت؟ الحسد والبغض وايداء الآخرين هل تفارقنا بعد الموت؟ كلا، فإن هذه الصفات كلها تتعلق بالروح، والروح لا تموت وإنما تنتقل.

إنما يُنقلون من دار أعمال إلى دار شقوة أو رشاد ما يتعلق بالروح لا يزول، بل ينتقل معها إلى ذلك العالم، وأما ما يتعلق بالبدن فيزول وينحل بزوال وانحلال البدن.

(١) أنظر النص في: الكافي/ الكليني ١: ١٢/ ح ١٠.

فإذا كانت الروح على جانب من الصفاء والطهارة فإنها ستبقي صاحبها سعيداً حتى بعد الموت، وأما والعياذ بالله إذا كانت الروح فيها شيء من الرذائل فلن تترك الإنسان بعد الموت بل تبقى تنتقل معه كما هي، وتبقى عنصر ازعاج للإنسان في عالم الروح والبرزخ والآخرة. ولذلك تؤكد على علاج الروح أكثر من علاج البدن. لكن مع الأسف بعض البشر يتعاملون بشكل عكسي تماماً، لا نرى أحداً يقلق بأنه لماذا هو حسود مثلاً، أو أنه إنسان حقوق، لا يقلق، ولا يذهب إلى طبيب نفساني ليعالج نفسه، بينما لو اكتشف أنه مريض في بدنه فماذا سيعمل؟ إنه سوف يسارع إلى الأطباء المتخصصين، إذاً لا بد لنا وقبل أن ندخل في المراحل العملية لتزكية النفس والإعداد الروحي أن نلتفت جيداً إلى أهمية ذلك الأمر وخطورته، أخطر شيء في مستقبل الإنسان هو تلك الروح. أهم ما يحدد مصير الإنسان من حيث الجنة والنار وأهم ما يحدد مكان الإنسان هو تلك الروح. وعلى هذا فمن لا يعتني بروحه ولا بقلبه فإنه إنسان غافل، غافل عن مصيره، وغافل عن مستقبله.

هذه كمقدمة يجب أن تكون واضحة.

بعد الموت ليس هناك تجربة أخرى وامتحان آخر، وليس هناك مجال أن نترجى الله ونقول: ارجعنا إلى الدنيا مرة أخرى حتى ندخل تجربة جديدة ﴿قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ * لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا﴾^(١)

هذا الكافر عندما يواجه مصيره يرى بأنه كم كان يجب عليه أن يتوجه إلى روحه ويهتم بها لكنه لم يفعل، يتوسل بالله أن يرجعه، ولكن هيهات.

إذاً علينا أن ندرك ذلك من الآن ونحن أحياء، هذه نعمة من الله بأننا

(١) المؤمنون: ٩٩ و ١٠٠.

أحياء نسأل الله أن يبارك بهذه النعمة، الآن هؤلاء الأموات يغبطونا على لحظة حياة، على النفس الواحد الذي يصعد وينزل، لماذا؟

لأننا قادرون بهذا النفس أن نكسب رضا الله ﷻ نفعلاً خيراً، نكتسب علماً، نمشي على طريق نجاة، هذه فرصة لا زالت مفتوحة أمامنا لاصلاح هذه النفس، فإن عالم البرزخ مستقبل قريب وليس بعيد.

إذا أدركنا هذا الكلام وأصبح في نفوسنا حرصاً على تزكية النفس علينا أن نبدأ الآن بالسؤال: ما الذي علينا فعله الآن إذاً؟

المراحل العملية للتزكية:

أنا أريد أن أسير على هذا الطريق: طريق التزكية وإعداد النفس، أريد أن أكون إنساناً كاملاً، أريد أن أكون إنساناً كما يحب أهل البيت ﷺ، فكيف يحصل هذا؟

الخطوة الأولى: تشخيص الأمراض:

المرحلة الأولى في تزكية النفس وتصفيتها هي: وضع اليد على عيوبها. وكشف ستورها. الأمراض التي أصبحت جزءاً من القلب ينبغي أن تكشفها بضوء كاشف وأشخصها، تشخيص الأمراض هي المرحلة الأولى والضرورية جداً لتزكية النفس، وأما إذا كان الإنسان لا يعترف بمرضه أو لا يعرف مرضه فكيف له أن يعالج ذلك.

ما هي الأمراض والعلل التي أحملها في قلبي وأنا غير ملتفت إليها، بعض الناس قد يشخص نفسه فيعلم أنه حسود، فيجب أن يضع هذه الصفة بالصدارة، بعض الناس لا يدري أنه حسود، ويعتقد أنه

إنسان طيب مع كل الناس كما يرى نفسه، لكنه حينما يتعرض لتجربة قاسية تظهر هذه الصفة، والمرض ليس دائماً يكون على السطح، بل في باطن نفسه، فإذا تعرض الإنسان لامتحان شديد يظهر على السطح.

مثلاً: أحمد بن هلال العبرثاني أحد أصحاب الأئمة عليهم السلام كان قد صاحب أربعة من الأئمة عليهم السلام، وكان في بداية أمره مع الإمام الجواد وبعده الهادي و... وكان في مرحلة الإمام المهدي عليه السلام في زمن الغيبة الصغرى.

رجل صاحب الأئمة عليهم السلام وروى عنهم، فكان يعتقد بنفسه أنه رجل ذو شخصية كبيرة، وفعلًا هو كذلك فيما بين الشيعة.

هذا الرجل حجّ في حياته ٤٠ سنة، ٢٠ ماشياً و٢٠ راكباً، وفعل ما فعل من الخير، رجل من حيث الصلاة والحج والارتباط بالأئمة عليهم السلام ومن حيث الشخصية الاجتماعية والعلمية جيد جداً. امتحن هذا الرجل امتحاناً عسيراً، أظهر المرض من داخل قلبه.

في زمن الغيبة الصغرى كان عليه السلام يعيّن نواباً له، كما تعلمون الغيبة الصغرى لمدة سبعين سنة كان فيها للإمام نواب خاصون معينون بأسمائهم. هذا الرجل كان يرى نفسه أفضل من الحسين بن روح، فبدأ يعظم فضائله في نفسه، لماذا تخرج الوكالة من الإمام إلى الحسين بن روح ولا تخرج إليّ، عظم عليه ذلك، وهو يعلم أن الحسين بن روح هو الوكيل، فغلب عليه الحسد، هنا ظهر المرض الكامن منه، هذا المرض لم ينشأ في تلك اللحظة، بل كان موجوداً منذ شبابه، إلا أنه كان كامناً لا يخرج، فخرج المرض بهزة عنيفة وأودى بصاحبه فأهلكه، بأن ادعى كذباً وزوراً أنه هو الوكيل وليس الحسين بن روح.

طبعاً الإمام عندما يعيّن وكيلاً يجعل دلائل لصدقه، يعطيه دليلاً أمام الناس بأنه هو الوكيل.

هذا أحمد العبرثاني لم يكن عنده دليل على ذلك، ولهذا أخرج الإمام توكيلاً آخر بلعن أحمد بن هلال ولعن من لا يلعن أحمد بن هلال.

لماذا؟ أين ذهبت صحبة الأئمة عليهم السلام؟ أين ذهب كل هذا العمل؟ كلها ذهبت هباءً منثوراً بسبب مرض كان كامناً في داخل القلب ثم خرج في وقت من الأوقات وفاجأ الإنسان فأرداه.

لاحظوا خطورة أن يهمل الإنسان المرض في بدايته، مرض القلب يجب أن يعالج سريعاً ولا يُترك، لأنه إذا ترك يكبر ويكبر حتى يتسلط على الإنسان في حالة امتحان ويصرعه كما فعل بهذا الرجل. إذاً المرحلة الأولى هي تشخيص الأمراض.

كيف نشخص أمراض قلوبنا؟

والجواب:

أولاً: الإنسان وكما قال تعالى: ﴿بَلِ الْإِنْسَانُ عَلَىٰ نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ* وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرَهُ﴾^(١) الإنسان أبصر الناس بنفسه، أبصر الناس بقلبه، يعرف ما في ذلك، فالإنسان بمعرفته بنفسه يكون قادراً على تشخيص الأمراض، وهناك أمور واضحة ليست صعبة، الإنسان يعرف نفسه أنه عصبي، أو حقود، أو هو إنسان محب للدنيا.

ثانياً: بعض الأحيان وفي بعض الصفات لا يقدر الإنسان أن

(١) القيامة: ١٤ و ١٥.

يشخص نفسه، تصبح هذه الصفات مخفية عنه، لماذا؟ لأنه غافل، ولأنه أحياناً يحيطه جو من المدح أو جو من الاعجاب، هذا الإنسان ينسى نفسه ويتصور أنه الوحيد الجيد البعيد من كل سوء ولا عيب فيه. هذا طبعاً من أضرار المديح الزائد.

لدينا في الروايات أنه يُكره للإنسان أن يمدح شخصاً بوجهه حتى لا تغرر به كأنك تغطي على عيوبه. طبعاً هذا غير إعطاء الإنسان حقه «من لم يشكر المخلوق لم يشكر الخالق»^(١) فالتقدير والشكر يجب أن يكون موجوداً، وهو غير المديح الزائد للناس بغير ما فيهم.

المتملقون أعداء الإنسان، لماذا؟ لأنهم يخفون عنه حقيقته، بينما الصديق الحقيقي هو الذي يريني نفسي في مرآة قلبه «المؤمن مرآة المؤمن»^(٢) هذا أسلوب من أساليب التعرف على النفس وهو الاستعانة بالمؤمنين، أنظر إلى نفسي في مرآة أخي المؤمن، يعني أرجو أخي المؤمن الصادق المحب أن يخبرني بما عندي من عيوب «رحم الله من أهدى إلي عيوبي»^(٣) التعرف على النفس من خلال المؤمنين المخلصين، لا بالمتملقين به حالة الأطماع ويتفرقون عنه حالة الابتلاء.

(١) عن الرضا عليه السلام قال: «من لم يشكر المنعم من المخلوقين لم يشكر الله تعالى».

أنظر: عيون الأخبار ١: ٢٧/ باب ٣١/ ح ٢.

(٢) من كلام لأمير المؤمنين عليه السلام: «يا كميل، المؤمن مرآة المؤمن، لأنه يتأمله فيسد فاقته ويجمل حالته...». أنظر: تحف العقول/ ابن شعبة: ١٧٣.

(٣) عن الإمام الصادق عليه السلام قال: «أحب إخواني إلي من أهدى إلي عيوبي». أنظر:

الكافي/ الكليني ٢: ٦٣٩؛ تحف العقول/ ابن شعبة: ٣٦٦.

ثالثاً: مراقبة النفس ومحاسبتها دائماً.

إن الله تبارك وتعالى لم يجعل النفس بلا حصانة، النفس أمارة بالسوء، فيها نزوات فلم يتركها سدى، بل جعل فيها رقيباً من نفسها، هناك صمام أمان في داخل النفس «لَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ»^(١) النفس اللوامة هي العنصر الرقيب الذي جعله الله في نفس كل أحد، كل منا لديه نفس أمارة بالسوء، وفي نفس الوقت أودع عنده نفساً لوامة والتي نسميها الضمير أو الوجدان، عندما نقول هذا الإنسان ليس عنده ضمير يعني ليس عنده رقيب من نفسه على نفسه، ليس عنده نفس لوامة، أو مخفية عنده، أو مئّنة.

إذاً بالنفس اللوامة يستطيع الإنسان أن يراقب نفسه ويراقب أعماله وردود فعله، الإنسان كيف يكتشف الصفات؟ يكتشفها حينما يتعرض لمواقف معينة فيعلم أنه يحمل تلك الصفة.

لو فرضنا أنه اكتشف في مجال تخصصه أن زميلاً أو زميلة مثلاً يتفوق عليه في هذا المجال فقدر لذلك وحصل على ما هو مخصص من جائزة أو منصب.

هنا يستطيع الإنسان أن يكتشف أنه هل هو سليم النفس من هذه الجهة أو لا، هل يغبط أو يحسد، يغبط يعني ماذا؟ يعني يحب الخير لصاحبه ويحبه لنفسه أيضاً، أما الحسد فيعني أنه يقول: لا، ليت هذا الشيء لي وليس لفلان.

الإنسان المؤمن إنسان متيقظ لا غافل، أعوذ بالله من الغفلة التي تجعل هذه الأمور تعبر وتمردون أن يكتشفها الإنسان، بينما التيقظ هو الذي يستطيع به الإنسان أن يكتشف دواخل نفسه.

(١) القيامة: ٢.

الإنسان إذا التزم برقابة نفسه استنصح الأخوة المؤمنين، يحاول دائماً أن يجعل هذه النفس تحت المجهر، حينئذ سيصل إلى نتيجة وهي أنه معرض للمشاكل والأمراض وأن بإمكانه أن يسجلها ويحصيها، فإذا فعل ذلك حينئذ تبدأ مرحلة العلاج والمداواة.

ملاحظة هامة:

حينما نقول أنّ تشخيص المرض هو المرحلة الأولى فليس معناه أنه نبقى في المرحلة الأولى حتى نشخص كل الأمراض نخصصها ثم نبدأ بالعلاج، القضية ليس فيها ترتب زمني، بل هذه المراحل زمنياً متوازبة في نفس اللحظة وفي نفس اليوم، أنت حينما تكتشف مرضاً فالمفروض أن تعالج هذا المرض، صحيح أن عملية التركيز على مراحل، لكن لا يتوهم أن هذه المراحل مترتبة زمنياً، لا، بل هي متوازبة زمنياً، مرحلة اكتشاف المرض مترابطة مع مرحلة العلاج.

الخطوة الثانية: علاج المرض القلبي:

إذاً نبدأ بالعلاج، وأيضاً علينا أن نسأل من أين نبدأ بالعلاج، ومن أين نأخذ العلاج؟

العلاج كما ذكرنا في الأحاديث السابقة ينبغي أن يؤخذ من مصدره الأساس، ما دامت المسألة روحية وقلبية لا بد أن تؤخذ من أطباء القلوب وأطباء النفوس والأرواح الذين عندهم شهادة تخولهم بذلك، ولا أحد من البشر يملك ذلك إلا أهل البيت عليهم السلام والأنبياء

والحجج الذين جعل الله ذلك لهم وجعل نفوس الخلق طيعة في أيديهم، وجعلهم مطلعين على ما في قلوب الناس، هؤلاء هم الأطباء. إذاً علمنا إلى أين نذهب لأخذ العلاج، بعد ذلك نسلم أنفسنا إليهم، وليس لدينا أية نظرية، وإنما تكون نظريتهم وما يوجهون إليه عليهم السلام، هو الدواء الوحيد، فهم الأيدي الأمينّة الربانية.

طريقة أهل البيت عليهم السلام في العلاج:

لنرى توجيهات أئمتنا عليهم السلام في هذا المجال:

الطبيب عادة يعطي الجرعة المناسبة في الوقت المناسب بشكل يؤدي إلى النتيجة المطلوبة، أما إذا زادت الجرعة عن تحمل المريض فإنه سيموت أو يتعرض لمضاعفات.

أهل البيت عليهم السلام يعطون الدواء جرعات بحسب مستويات الناس.

في رواية عن الإمام الصادق عليه السلام يقول: اجتهدت في العبادة وأنا شاب، فقال لي أبي: «يا بني دون ما أراك تصنع، فإن الله عز وجل إذا أحب عبداً أدخله الجنة ورضي منه باليسير»^(١).

وعن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «يا علي إن هذا الدين متين، فأوغل فيه برفق، ولا تبغض نفسك إلى عبادة ربك، فإن المنبت لا ظهراً أبقى ولا أرضاً قطع»^(٢).

ما معنى المنبت؟ المنبت: هو المنقطع، المنبت هو الذي يركب

(١) الكافي / الكليني ٢: ٨٧ / (باب الاقتصاد في العبادة) / ح ٥.

(٢) الكافي / الكليني ٢: ٨٧ / ح ٦.

الفرس (مثلاً) من الكوفة يريد أن يصل المدينة، فإذا كانت المسافة بين الكوفة والمدينة تقطع بثلاثة أيام بشكل طبيعي مع استراحة مع إطعام للدابة إلخ، هذا الرجل يريد أن يقطع المسافة بيوم واحد، فيقول الإمام: لا تكن كذلك، لماذا؟

لأن هذه الدابة ستموت إذا لم ترحها وتسقها في الطريق، فتجد نفسك واقفاً في الطريق لا أرضاً قطعت ولا ظهراً أبقيت، الظهر يعني الدابة، فالإمام يضرب هذا المثل: (لا تكن كالمنبت لا ظهراً أبقى ولا أرضاً قطع)، هذا الدرس نستفيد منه في كل مجالات علاج الأمراض، فعندما يريد الإنسان أن يعالج نفسه من شيء لا يهلك نفسه لا يقسو على نفسه، بعض الناس يريد أن يعالج نفسه فيلزم نفسه بتكاليف ثقيلة جداً وكأنه يريد أن ينتقم من نفسه. هذا خطأ، إن هذا الدين متين فأوغلوا فيه برفق، هذه الرواية جميلة وتشير إلى شيء، وهو أن هذا الدين محكم، فمن أراد أن يسير إليه فليسر إليه برفق. النفس الإنسانية لها إقبال ولها إدبار، العنف يجعلها تدبر، العنف يجعلها كالمنبت والمنقطع.

هذا أسلوب لأهل البيت عليهم السلام يمكن أن نسميه: (أسلوب الجرعات).

نحن عندما نبدأ نتعرف على الأمراض ونريد أن نعالجها علينا أن نعالجها تدريجياً، ولا نتوقع من العلاج أن يشفينا من هذا المرض بيوم أو في شهر، علينا أن نكون ذوي صبر وتحمل حتى نصل إلى النتيجة.

إذاً الأمر الأول هو الرفق الذي «لم يوضع في شيء إلا زانه، ولا نزع من شيء إلا شانه»^(١).

(١) الحديث عن رسول الله ﷺ، أنظر: الكافي / الكيني ٢: ١١٩ / (باب الرفق) / ح ٦.

في موضوع التزكية ينبغي أن نكون رفقاء على أنفسنا، يرجع الإنسان إلى روايات أهل البيت عليهم السلام وهي في هذا المجال كثيرة، الإنسان الذي يلتزم بمراجعة الروايات يجد تفاعلاً خاصاً معها، لأنها صادرة من معدن الوحي والتنزيل.

هذا أسلوب، أما الأمر الثاني فهو طبعاً الآيات الكريمة فإن فيها ما يرشد إلى ذلك، وقصص القرآن الكريم مليئة بالعبر، ففيها ما يرشد إلى مساوئ الحقد والحسد والتجبر والتكبر والخيانة وما إلى ذلك، مثلاً: قصة زليخا وما فعلته، حيث كانت تظن أنها رابحة، فوصلت إلى نتيجة أودت بها إلى حال بحيث أصبحت فقيرة عجوز تجلس في طريق يوسف تستجدي الرحمة والعطف، هذا درس، وهكذا فرعون تجبره وتكبره جعله بالنتيجة جسداً مرمياً على الشاطئ ﴿فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِدَنِّكَ لَتَكُونَنَّ لِمَنْ خَلَقَ آيَةً﴾^(١).

أنجاه بدينه ليكون آية، يريد أن يراه الناس الذين أرعبهم فرعون أربعين سنة وادعى عليهم الربوبية وإذا به مرمي على الشاطئ ليس له قيمة. مصير التكبر هو هذا، وهكذا مصير قارون الذي خرج بأمواله وموكبه العجيب الذي كان يرعب الناس، بحيث بعض الناس كادوا أن يخرجوا من دينهم عندما نظروا إلى قارون وأمواله ﴿يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ﴾^(٢) لكن قارون كان يعتقد أن هذا من عنده ﴿إِنَّمَا أُوتِيْتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِنْدِي﴾ لأنه كان يعتقد أنه بذكائه حصل على ما حصل، الله جعل عاقبته أن خسف به وبماله الأرض.

فالإنسان المؤمن عندما يقرأ هذه العبر يعرف أن هذه الصفة التي

(١) يونس: ٩٢.

(٢) القصص: ٧٩.

يحملها لا تؤدي إلى نتيجة. من هنا يستفيد الإنسان شيئاً آخر وهو أن قصص الناس العادية وهذا التاريخ البشري الآن مليء بالعبر، قراءة التاريخ مفيدة. التاريخ ليس تخصصاً علمياً فقط، بل هو عبرة للناس. ففي كل قصة من قصص البشر عبرة لنا ودرس، الحكمة تقول وقد كتبها أحد الطواغيت على قصره: (لو دامت لغيرك ما اتصلت إليك) أو (ما وصلت إليك).

ما معنى هذا؟ معناه أنه لو دام الملك لغيرك لبقى ذلك للغير ولم تكن النوبة تصل إليك، لكن نحن دائماً مع الأسف نغمض أعيننا عن عبر التاريخ.

من موارد العلاج:

١_ الكتاب الكريم والروايات الشريفة بما تحمل من توجيهات وعبر وقصص.

٢_ التاريخ البشري: هذه العبر أمامك تملأ تاريخ حياتنا التي نعيشها الآن.

من الأنحاء أيضاً المفيدة في العلاج هو: إلزام النفس بالعكس، يعني إذا دعنتي مشاعر الحسد إلى احتقار صاحبي فعلي أن أقاوم ذلك الشعور وألزم نفسي باحترامه وأظهر له الاحترام عملياً، أجبر نفسي على ذلك.

قصة جميلة وعبرة بالغة:

بعض علمائنا كان جالساً في مجلس علم في ضمن مجموعة من العلماء، فجرى حديث علمي بينه وبين أحدهم، الحديث العلمي كان في مسألة شرعية فأصبحت مورد نقاش، نقاش ليس فيه سوء الا أن ذلك الرجل الثاني بدرت منه كلمة، قال له: شيخنا ما هذا الحديث أنت رجل ليس عمك

هذا، وكان في كلامه نوع من الإهانة، هذا الشخص سكت وتأمل لحظات، يقول: خاطبت نفسي وقلت لها: يا نفس أهذا الذي تريدني؟ سولت لي النقاش حتى سمعت هذه الإهانة، سأريك أكثر من ذلك (مخاطباً نفسه) سأذبحك على محراب التواضع، قام من مكانه واتجه إلى ذلك العالم الذي هو المعتدي وهو الخاطيء وأخذ يده وقبلها ورجع إلى مكانه.

هذا هو غاية التواضع، غاية جهاد النفس، وحينما رجع إلى مجلسه وانفض المجلس إلى خير، أتى إليه جماعته وقالوا: شيخنا لم فعلت ذلك؟ أنت على حق وهو المخطأ، فحدثهم بالقصة وقال لهم: أنا أردت أن أعاقب نفسي لأنها انجرت إلى الجدال أكثر مما ينبغي، وأردت أن أذبح هذه النفس المتكبّرة على محراب التواضع.

هذه الحالة _ حالة إجبار النفس على عكس الشعور الداخلي _ هو الذي يربّي ويروض النفس على الصفة الصالحة ويبعدها عن الرذيلة، فمن يشعر بحسد اتجاه أحد فعليه أن يلزم نفسه باحترامه أكثر، ومن يشعر تجاه أحد بحقد فعليه أن يجبر نفسه على حب ذلك الشخص.

مناشئ الحقد:

لنقف عند هذه القضية قليلاً:

الحقد والكراهية قد تنشأ من مناشئ عديدة، لكنها كنتيجة شيء مظلم في القلب كيف يستطيع الإنسان أن يتخلص من هذا الظلام؟ دائماً ولا بد أن تكون في الإنسان نقطة حق، تأمل في شخصيته فهو إنسان مؤمن (طبعاً نحن لا نتحدث عن من يستحق الحقد) مثل أعداء الله ورسوله، كلامنا عن المؤمنين، في الجو الإيماني

لا ينبغي لأحد أن يحقد على أحد، أو يبغض أحداً، حاول أن تجد في شخصية المقابل نقطة ولو واحدة مضيئة، ومن تلك النقطة سوف تحبه وتشعر بالود إزائه.

ليس هناك إنسان لا يحمل صفة ليس فيها خير، ولو بملاحظته خلال أيام أو معاشرة تكتشف فيه صفات جيدة، بل لعل العلاقة تصبح حميمة جداً ﴿ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾^(١) من أين تأتي هذه العلاقة وهذه المحبة؟ من التعرف على الآخرين من جهة الحسن، من الجهات الأيجابية، نعم أنت تقدر أن تقول في فلان وفلان كذا سلبيات لكن نقول: عدد إيجابياته، حاول أن تكتشف في الناس نقاط إيجابياتهم ونقاط الحسن فيهم، ولا تنظر إلى القبح فتبقى دائماً في دوامة الحقد، وسوف تعيش في جهنم دائماً إلى أن تموت. الإنسان يدرك سوء لكن يحمله على محامل حسنة، البشر ناقصون خطئون، حاول أن تفتح عيناً أخرى على المحاسن فستجد في كل أحد محاسن، ليس هناك إنسان يخلو من محاسن.

هذا أيضاً أسلوب من أساليب قلع الحقد من القلب.

القلب سوف يتبدل إلى قبول للناس، إلى استيعاب للناس، إلى معايشة مع الناس وتحمل للآخرين، واعلم أنك مثلما أنت الآن مدعو إلى تحمّل الناس، فالناس أيضاً مدعوون إلى ذلك، لا تعتقد أنك مبرئ من العيوب.

الذكرى تنفع المؤمنين:

من الأمور المؤثرة أيضاً التذكرة ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ﴾^(١) دائماً يحاول الإنسان أن يسمع المواعظ ويقرأها، فإن المواعظ مثل الماء الذي يسقي النبتة، النبتة إذا بذرت تحتاج إلى مداراة حتى تكبر وتثمر وتصبح شجرة، فالسقي لنبتة الصلاح في القلب، السقي الدائم لها هو الاستمرار في قراءة المواعظ وسماعها. في نهاية حديثنا نقول: أننا تحدثنا عن أسلوب أهل البيت عليهم السلام، وتحدثنا عن المراحل العملية للتركيب التي هي مراحل تبدأ بالتعرف على المرض ثم بعلاجه رجوعاً إلى أهل البيت عليهم السلام.

العوامل المساعدة في التزكية:

هنا عوامل مساعدة للتركيب من أهمها: العامل الأول كثرة زيارة الأئمة الأطهار عليهم السلام التي تعين الإنسان على سلوك هذا الطريق وتصفية باطنه. ومنها: التواصل الروحي معهم، لأن مثل ذلك مثل إنسان يتواصل مع طبيب روجيه، فهؤلاء هم أطباء النفوس، وهؤلاء أطباء ليس فقط يعطوننا دواءً نتناوله، وإنما نفوسهم دواء لنا، والتواصل مع نفس المعصوم دواء لنا، لماذا؟

لأنك حينما تدخل إلى حرم المعصوم فهناك تتكون عندك عدة أمور:

أولاً: حضورك هناك يستحق الاحرام، ثانياً: حضورك مع الوعي (تزوره عارفاً بحقه)، أدخل لزيارة أمير المؤمنين عليه السلام استحضّر هذا الرجل الذي

عاش في هذه الديار النجف والكوفة كخليفة للمسلمين، إماماً عليهم، أباً للأيتام والأرامل، عاش كحاكم أرأف ما يكون بالناس، كبطل قام الإسلام بسيفه، حينما تزور زيارة من هذا القبيل تكون قد تواصلت روحياً مع الإمام، يعني فتحت طريقاً بينك وبين قلب الإمام، السعيد من يوفق لذلك.

بعض العلماء يروي أنه رأى في المنام ضريح الإمام الحسين عليه السلام مليئاً بالزوار، إلا أن هؤلاء الناس على غير أشكالهم وصورهم، بحسب صفاتهم، بحسب أمراضهم النفسية، يقول: لكنني أراهم يدخلون باباً إلى الإمام الحسين عليه السلام بأشكال كريهة، ويخرجون من تلك الباب الأخرى بعد تمام زيارتهم بشراً أسوياء كُمل.

الأثر الذي يحصل عليه الإنسان من زيارة أبي عبد الله عليه السلام هو أنه وكرامة من الله وحباً للحسين عليه السلام يخرج من قبر الحسين وقد غفرت ذنوبه ويرجع إلى أهله كيوم ولدته أمه.

العامل الثاني المساعد على ذلك: هو أن يكون لك من هو عون في طريق الله ومساعد، يعني حبذا أن يكون للإنسان رفيق يعينه على تذكرة نفسه، ويعينه على الطاعة على العبادة وعلى التزكية ويذكره بالأخطاء، الناصح المحب الذي لا يرضى لك أن تكون من أصحاب النار، والسعيد السعيد من حصل على شيء من هذا القبيل.

والحمد لله رب العالمين

المحور الثاني:

الإعداد الروحي الخاص

إذاً هي مرحلة الحقائق، مرحلة الصدق، مرحلة انكشاف الزيف، مرحلة سقوط الأقنعة وظهور الإنسان على حقيقته، ومما ورد من الروايات المهمة في هذا المجال أن الإمام عليه السلام إذا ظهر مسح على رؤوس الخلائق فأكملت عقولهم.^(١) اكتمال العقول هو جانب من جوانب ما نقول وإن مرحلة الظهور هي مرحلة الحقيقة لا مرحلة الوهم ولا مرحلة العناوين الزائفة، العقل إذا اكتمل فلا يحتاج مع كماله إلى أن يتلبس بقناع معين ليوهم أو يلبس الحقائق. العقل الكامل يترفع عن الزيف وعن الكذب، فهو عقل حقيقي يتعامل بموضوعية وواقعية مع الحياة. تصوروا هذه العقول، إذا مسح الإمام على رؤوس الناس فأكملت عقولهم، تصوروا النتيجة، النتيجة أنهم سيتعاملون مع الحياة بواقعية وصدق، ويتعاملون كما هم ودون أي تلبس أو تنكر أو وجوه زائفة.

هذا الأمر يدعو إلى التوقف كثيراً.

نحن الآن في هذه الحياة قد ضرب الله تعالى علينا ستره، والرواية عن أمير المؤمنين عليه السلام تقول: «لو تكاشفتكم ما تدافتم»،^(٢) لو علم أحدنا ما في نفس الآخر فقد لا يكون مستعداً حتى لدفنه، ويعتبره غير مسلم أصلاً. ولو كشف الله ما في النفوس والخواطر لكانت الحياة صعبة فيما بين الناس، لكن

(١) عن أبي جعفر عليه السلام قال: «إذا قام قائمنا وضع يده على رؤوس العباد فجمع بها عقولهم وكملت به أحلامهم». أنظر: الكافي/ الكيني ١: ٢٥/ ح ٢١؛ كمال

الدين/ الصدوق: ٦٧٥/ ح ٣٠.

(٢) أمالي/ الصدوق: ٥٣١/ ح ٧١٨/ ٩؛ بحار الأنوار ٧٤: ٣٨٣.

بسم الله الرحمن الرحيم

حديثنا السابق كان حول التزكية بشكل عام، اليوم نتحدث في الإعداد الروحي الخاص المرتبط بمرحلة الظهور.

خصائص زمن الظهور:

الظهور زمن له خصائص:

بحسب هذه الخصائص ينبغي أن يهيا الإنسان نفسه، ويعد نفسه حسب متطلبات تلك المرحلة.

أول خصائص مرحلة الظهور أنها مرحلة الحقائق ومرحلة انكشاف الزيف وسقوط الأقنعة، ففي زمن الإمام عليه السلام لن يستطيع أحد أن يلبس حقيقته عن الإمام كأن يتنكر بوجه آخر غير وجهه الحقيقي. الإمام عليه السلام يعلم ما في النفوس، ويسير بالناس سيرة نبي الله داود عليه السلام، أي سيحكم بما يعلم؛ بعلمه الواقعي.

قد يطرح هنا سؤال: ما الفرق بين سيرة داود وحكمه وسيرة

نبينا ﷺ؟

الجواب: هناك فرق فقهي، نبينا ﷺ كان يحكم على الظواهر بالشهود وبالبينة، أما داود عليه السلام وإمامنا الإمام المهدي عليه السلام فسيحكمان بناءً على علمهما الواقعي، الله ﷻ أعطاه علماً بواقع الأشياء بحيث لا يحتاج إلى بيعة أو شهادة أحد وسيستفيد من ذلك العلم مباشرة بلا حاجة إلى وسائط.

الله ﷻ برحمته وحتّى تسير الحياة ويكتمل نظام الحياة، رحم الناس وأعطاهم فرصة لاكمال نفوسهم وتزكيتها، يؤخر الكشف فلا يكشف حقائق أمام الناس ولا يكشف حقائق الناس أمامي.

هذه الستور المضروبة بعضها مضروب من الله ﷻ، وبعضه نحن نضربه على أنفسنا ونخفي أنفسنا خلفه، هذا يجعل مسألة المعاشية مسألة سهلة وممكنة في هذه الحياة. أما في ذلك الزمان، الزمان الذي لا مجال فيه للفساد ولا متسع فيه للفساد، الزمن الذي يراد فيه أن يطبق الإمام ﷺ أطروحة السماء كاملة بلا تأخير، في ذلك الوقت لا يؤخر الإمام حكماً أو موقفاً شرعياً لأجل التقية أو المداراة.

بل ينبغي تنفيذ الأحكام الشرعية بحذافيرها دون حذر من أحد أو تقية أو خوف. فلا بد أن نقف إذن أمام هذه الحقيقة: حقيقة أنه زمن واقعي، زمن لا يتحمل اخفاءً أو تليساً أو تنكراً أبداً.

وعلى هذا فماذا سيكون التكليف؟

الذي يريد أن يعدّ نفسه من الآن لزمان الحقائق عليه أن يبدأ من الآن بتصفية شؤونه وأموره، وتعديل أوضاعه بشكل إذا جاء وقت الحقيقة ووصل وقت الصدق لا ينكشف أو ينفضح يكون هو كما هو، كما أنا الآن أكون في ذلك الزمن دون أية فضيحة أو مشكلة، الإمام ﷺ حينما يخرج (الروايات تقول): أنه ينتزع بعض الأملاك من الناس (يقول: هذا ليس بيتك أخرج منه) فيعيد الأملاك والحقوق إلى أصحابها الحقيقيين حتّى إذا اشترت بها الدور.^(١)

(١) في الرواية: «يبلغ من ردّ المهدي المظالم حتّى لو كان تحت ضرس إنسان شيء انتزعه حتّى يرده». أنظر: كتاب الفتن لابن حماد: ٢٢٠.

إذاً هو زمن الحقيقة والصدق، فالإنسان لا بدّ من الآن أن يعدّ نفسه ليحلّ عليه الظهور ويكون من السعداء بالإمام لا من الأشقياء بالإمام، أن يحلّ علينا زمن الظهور ونحن سعداء بذلك لا نخفي أنفسنا خجلاً، ولا نخفي أنفسنا خوفاً من الإمام، أن نصلح شؤوننا، أن نكون على بصيرة مما في أيدينا من أموال وممتلكات ومتعلقات، ومن كل القضايا الشرعية، ونكون على يقين أننا ذووا صفحات بيضاء نستطيع بها أن نقابل الإمام ﷺ ونقول يا مولانا نحن منتظرون ونحن سعداء بظهورك ونحن في خدمتك.

فعلى الإنسان أن يكون دائماً مع حقيقته ولا يتعد عنها، ما معنى ذلك؟ بعض الناس يعطي لنفسه عناوين أكبر من واقعها، ويعطي لنفسه واجهات وأسماء أكبر مما يستحق، فيبقى يعيش هذا الوهم، ويفرض على من حوله أن يعيش بهذا الوهم، ويبقى هكذا إلى أن يظهر الإمام ﷺ وإذا بالإمام يفاجأه يقول له: أنت لا قيمة لك، هذا العنوان الكبير الذي كنت تعيش به والاسم الكبير الذي حملته والجاه العريض الذي حصّلته هذا كله مزيف ليس له أي أصل، إرجع إلى حجمك الطبيعي، بحكم الإمام يرجع الإنسان بواقع الصدق في زمن الظهور إلى حجمه الطبيعي، ﴿هَذَا يَوْمٌ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ﴾^(١) مثل يوم القيامة.

في يوم القيامة هل يقدر إنسان أن يفرض عناوينه الباطلة أمام الله ﷻ؟ كلا، فإن مقدار علمي هو هذا الذي سأحاسب عليه، ومقدار تقواي هو الذي سأعامل على أساسه، وهكذا الإمام ليس عنده مجاملة مع أحد، ولا يخضع لأوهامنا أو يخضع لموازينا التي نعيشها الآن والمبنيّة على الاعتبارات الباطلة،

فالإمام يأتي وينسفها تماماً. فعلينا أن نكون مهيين للحقيقة، مهيين إلى أن ننظر إلى أنفسنا بين يدي الإمام بحجمننا الطبيعي، فإذا كان كذلك يكون مهماً للإنسان أن يعيش الآن كما يعيش في ذلك الوقت، وأن يعيش في زمن الظهور كما يعيش الآن.

وأن يظهر أمام الإمام وأمام الناس كما هو الآن، لماذا أعيش الزيف إلى أن يظهر الإمام ويرجعني إلى حتمي الطبيعي فتكون هناك الفضيحة والهتك. قد يُطرد الإنسان من حضرة الإمام ﷺ لأنه مدّعي، إنسان مثلاً يدّعي الاجتهاد، فهذه الدّعوة خطيرة والمسألة لن تترك، فالادّعاء جداً خطير، أن يدعي الإنسان الاجتهاد، يعني أن يكون نائباً للإمام المعصوم الغائب، نائب عنه في بعض المسائل التي يتولاها الإمام في الناس فإذا كان والعياذ بالله هذا المدّعي كاذباً أو مبطلاً أو دجالاً فما هو موقفه أمام الإمام في زمن الحقيقة والصدق؟

أين سيكون محل هذا الإنسان؟ سيخفي نفسه، سيختبئ في جحر في الأرض، لن يستطيع أن يقابل الإمام ﷺ، وإذا استطاع أن يقابل الإمام ويأتي إليه سيعاقبه عقوبة ليست باليسيرة، لأن الدعوى دعوى خطيرة.

فعلى هذه قس ما سواها، كل ما نصنعه لأنفسنا من عناوين باطلة وزائفة في هذه المرحلة من الحياة علينا أن نحسب له حساب مرحلة الظهور، فأن تلك المرحلة لا تتحمل كذباً ولا زيفاً ولا باطلاً.

فينبغي على المؤمن أن يعد نفسه إعداداً روحياً حقيقياً في هذا المجال. كيف يكون الإنسان واقعياً حتى إذا أصبحت مرحلة الظهور

مرحلة فعلية لا يفاجأ؟

متطلبات زمن الظهور:

هناك أمور معينة عليه أن يلتزم بها:

أولاً: الصدق مع النفس:

عليه أن يكون صادقاً مع نفسه وأن لا يدعي لنفسه باطلاً، والإنسان الصادق مع نفسه سعيد وليس للاضطراب إلى قلبه سبيل، سعيد مع نفسه، سعيد مع الآخرين، يحترمه الناس. الإنسان الذي لا يعطي لنفسه أكبر من حجمها إنساناً محترماً، مُجِبٌّ ومحجوب من قبل الناس.

ثانياً: التفقه:

ترويض النفس على أحكام الله ﷻ، الفقه عندنا مسألة جداً مهمة، هذا الفقه الذي نعتبره أعظم تراث ورثناه من أهل البيت ﷺ وأعلى جوهره ورثناها من الأئمة الأطهار ﷺ فقه تعب عليه الأئمة ﷺ، وتوارثه أصحابهم وقتلوا من أجله، استشهاد عشرات، بل مئات من أجل أن تكتب صفحة، في سبيل أن يُؤلف كتاب في الفقه، وما سيرة الشهيد الأول والثاني ﷺ بعيدة عنا، صاحب اللمعة وشارح اللمعة _ كتاب اللمعة الفقهي _ كلاهما شهيدان من شهداء هذا الطريق، الفقه الذي بين أيدينا لا تتصور أنه مسألة سهلة، يأتي البعض يستهزأ يقول: أنتم يا أهل الحوزة مشغولون بالاغسال بالحوض والنفاس، يستهزأ وكأن أحكام هذه الأمور أحكام يُستهزأ بها. هذا الذي يتكلم بهذا الأسلوب يستهزأ بأحكام الله في الواقع، الدين شمل بأحكامه كل نواحي الحياة، فالإنسان ينبغي أن يعطي قيمة لكل حكم شرعي والذي هو في الواقع تراث السماء.

من الأمور التي تُعين على التهيؤ لزمن الظهور وأن يكون الإنسان في

ذلك الزمن إنساناً سوياً ومقبولاً عند الإمام عليه السلام أن يكون متفهماً في دينه، ليس بمعنى أن يكون مجتهداً، لا، بل أن تكون المرأة عارفة بأحكامها، والرجل عارفاً بأحكام عمله وجملة ابتلاءاته، أن يكون كل إنسان في أيّ موقع من مواقع الحياة عارفاً بأحكام عمله وحياته.

صلاته، شكوك صلاته، صيامه، زكاته، خمسه، الطهارة والنجاسة، أحكام المعاملة والبيع والشراء، فيكون محصناً ومكتملاً فقهياً من هذه الجهات.

ثالثاً: البصيرة الكاملة:

الأمر الآخر الذي يجعله مهياً بشكل كامل لزمن الظهور: العقيدة الصريحة والواضحة، والبصيرة الكاملة، لو جاء الإنسان في زمن الظهور وعقائده متزلزلة وغير ثابتة، ولم يدرس العقائد بشكل كاف، وما تعرف على مقامات الأئمة الأطهار عليهم السلام بشكل كاف، فإنه قد يقع في بلاء.

قد يأتي ويرى الإمام عليه السلام يحكم بحكم فيعرض على الإمام، فيقدمه الإمام ويضرب رأسه، لدينا رواية تقول: بينما الرجل بين يدي الإمام المهدي يأمر وينهي يعني أنه أحد القادة، من الأشخاص الذين يأمرون وينهون بأمر الإمام وإذا بالإمام يقدمه ويضرب رأسه.^(١)

(١) في الرواية عن أبي جعفر الباقر عليه السلام قال: «يقضي القائم بقضايا ينكرها بعض أصحابه ممن قد ضرب قدامه بالسيف، وهو قضاء آدم عليه السلام، فيقدمهم فيضرب أعناقهم، ثم يقضي الثانية فينكرها قوم آخرون ممن قد ضرب قدامه بالسيف وهو قضاء داود عليه السلام، فيقدمهم فيضرب أعناقهم، ثم يقضي الثالثة فينكرها قوم آخرون ممن قد ضرب قدامه بالسيف، وهو قضاء إبراهيم عليه السلام، فيقدمهم فيضرب أعناقهم. ثم يقضي الرابعة وهو قضاء محمد عليه السلام، فلا ينكرها عليه أحد». أنظر: كتاب الغيبة للسيد علي بن عبد الحميد، على ما في البحار / المجلسي ٥٢: ٣٨٩.

لماذا؟ هل الإمام عنده شهوة للقتل؟ أبداً.

الناس إذا لم تكن عقائدها كاملة بأهل البيت عليهم السلام سيُمتحنون امتحانات عسيرة، في بعض هذه الامتحانات قد يسقطون. إذ قد يفاجئنا الإمام ويقول إن هذا الحكم الشرعي الذي اعتدتم عليه في المرحلة السابقة خطأ، حكم الله الواقعي ليس هذا.

فإذا كانت عقائدنا قوية بالإمام، ونعتقد أن هذا هو المعصوم الحجة من الله علينا ولا يرد عليه بشرط كلمة نقول له: سمعاً وطاعة، وكل تراثنا نرديه في البحر إذا أمر هو، ولا تناقشه ونقول له: لا هذه شريعة جدك وأنت خالفت الشريعة، فهناك أناس لا يوجد عندهم تحمّل فقد يقول: لا، هذا حكم مسلم قد اعتدنا عليه وهو حكم ضروري والكل يقول به (اجماع المسلمين). يقول له الإمام: أنا حجة الله عليك فإن قبل منه فذاك، وإن لم يكن ذلك يقدم رأسه ويقتل.

فعلى الإنسان أن يبني عقيدته بناءً ثابتاً ابتداءً من التوحيد وانتهاءً بالمعاد. فعلى الأخوة أن يكونوا حريصين على أن يحضروا دروس العقائد ودورات العقائد، حتى إذا كانوا قد مروا بدروس سابقة فعليهم أن يحضروا مراراً وتكراراً، فإن في كل درس فائدة، وفي كل دورة شرح جديد يستفيد الإنسان منه.

الظهور مرحلة العمل الجاد لا النعيم فقط:

مرحلة الظهور هي أيضاً مرحلة المهام والمسؤوليات الجسام، فالمسألة ليست فقط أن نمني أنفسنا برخاء زمن الظهور ونعيم ذلك الزمن، لا بل هناك مسؤوليات تترتب علينا. مسؤوليات تترتب على

المؤمنين، بالأخص وكما تعلمون أن الإمام سيتولى شأن العالم، لكن هذا حينما يظهر ويبدأ بالتدريج بمسح الكفر ونشر الإسلام، جيوش وقتال، عمل دؤوب، إرسال الناس إلى أطراف البلاد، تعليم، يعني هل تصور أن الصين مثلاً ستدخل في طاعة الإمام وأنهم سيصبحون في ليلة واحدة عارفين بأحكام الله ومطيعين وقارئین للقرآن؟ إنهم يحتاجون إلى من يعلمهم وإلى من يرشدهم.

على هذا ينبغي علينا نحن كنخبة شيعة تحمل هذا الهم وتحمل أهمية المرحلة وتعرف قدر المرحلة أن تتهياً لهذه المسؤوليات الجسام. من الذي سيحمل فكرة الإمام ودعوة الإمام إلى أطراف الأرض؟ الكفار أنفسهم؟ الكفار إنما ينتظرون الكلمة أن تخرج من هنا بالأخص من النجف، ذكرنا في عدة مرّات أن الإمام عليه السلام سيتخذ من هذه المدينة المباركة عاصمة له، يعني عاصمة العالم. من هنا سينطلق الناس، المبلّغ والمبلّغة، القائد العسكري، الحاكم الذي سيحكم أطراف الأرض، إنهم سينطلقون من هنا. الإمام دار حكومته الكوفة، ودار عبادته السهلة. فهذه بقعة ليست هيّنة، ونحن أناس نعيش الآن في بقعة خاصة، فإذا علينا أن نتحمل مسؤوليات خاصة.

فالمسألة ليست فجائية، بل علينا أن نعدّ أنفسنا لذلك اليوم. الإمام إذا أراد مجموعة من النساء المؤمنات لتعليم نساء بلد ما فإنه يُرسل إليهنّ امرأة، لكن ليست امرأة جاهلة ليس لها معرفة بالأمر الشرعية، أبداً، نعم الإمام يستطيع بمعجزة أن يحولها إلى عالمة، هذا ممكن، إلا أن الأمور لا تجري بالمعاجز دائماً.

الإمام إذا رأى طبقة من النساء واعية متمسكة بعقيدتها حريصة على خدمة الإسلام فأول ما يكلفها هي، يرتضيها.

فتكون النساء حينئذ الجند الثقافي للإمام في نشر الوعي بين نساء العالم. نحن حينما نتحرك في زمن الظهور باتجاه العالم بقيادة الإمام ستتحرك عسكرياً، هذا صعيد، وستتحرك تحركاً موازياً لذلك وهو التحرك الثقافي والديني الذي به نعلم الناس وهذا صعيد آخر، فالقضية ليست قضية سيف فقط، فالسيف للظلمة، وللمعاندين ولمن لا يقبل الدين ولمن يقف بوجه المهدي، أما الحركة الثقافية التي علينا أن نشأها في ذلك الوقت بإمرة الإمام المهدي عليه السلام حركة فكرية تحتاج إلى كفاءات وإلى مستويات، وهذا ما يرتب علينا هذه المسؤولية بأن نعدّ أنفسنا ثقافياً وفكرياً وعقائدياً لتحمل هذه المسؤوليات الجسام.

فإذاً مرحلة الظهور ليست هي فقط مرحلة نعيم، وإنما هي مرحلة بناء، مرحلة عمل، مرحلة جهد وجهاد، وهذا أول ما يقع علينا قبل غيرنا، لأننا نحن الشيعة نفترض بأنفسنا أن نكون أقرب الناس إلى فكر الإمام وأكثر الناس شوقاً إلى لقائه وظهوره ونعيش في بقعة سيتخذها الإمام عاصمة له.

إذا كانت المرحلة القادمة هي مرحلة المسؤوليات فعلينا إذن أن نعدّ أنفسنا لهذه المسؤوليات ثقافياً ونفسياً، الإعداد النفسي بمعنى أن يكون الإنسان طوع يمين الإمام، هذه مسألة قد لا تحصل لكل أحد، حتى من يدرس العقائد ويتفقه قد لا تكون نفسه مطواعة.

قصة هارون المكي:

نأتي بمثل من التاريخ:

في الرواية أنه دخل سهل بن حسن الخراساني على الإمام الصادق عليه السلام فسلم عليه ثم جلس، فقال له: يا بن رسول الله ﷺ لكم الرأفة والرحمة وأنتم أهل بيت الإمامة، مالذي يمنعك أن يكون لك حقّ تقعد عنه وأنت تجد من شيعتك مائة ألف يضربون بين يديك بالسيف؟ فقال له عليه السلام: اجلس يا خراساني.. ثم قال: يا حنيفة اسجري التنور، فسجرتة حتى صار كالحمرة.. ثم قال: يا خراساني قم فاجلس في التنور، فقال الخراساني: يا سيدي يا بن رسول الله لا تعذبني بالنار أقلني أقالك الله، قال: قد أقلتك، فيناهم كذلك إذ أقبل (هارون المكي) ونعله في سبابته.. فقال له الصادق عليه السلام: ألق النعل من يدك واجلس في التنور. فألقى النعل وجلس في التنور، وأقبل الإمام يحدث الخراساني حديث خراسان.. ثم قال: قم يا خراساني وانظر ما في التنور. قال: فقممت إليه فرأيته متربعا، فخرج إلينا وسلم علينا، فقال الإمام: كم تجد يا خراساني بخراسان مثل هذا؟ فقلت: والله ولا واحداً. فقال الإمام عليه السلام: لا والله ولا واحد، أما إننا لا نخرج في زمان لا نجد فيه خمسة معاضدين لنا، نحن أعلم بالوقت.^(١)

نرجع إلى حديثنا السابق.

إذاً زمن الظهور هو زمن رئاسة الإمام وحكومة الإمام، وزمن الحقيقة والصدق التي لا يقبل غيرها. نحن لا نقول نصبح كهارون

(١) أنظر: مناقب ابن شهر آشوب ٣: ٣٦٢؛ بحار الأنوار ٤٧: ١٢٣.

المكي، خضوع تام للإمام، لأن درجة هارون المكي صعبة جداً بالنسبة للناس، إلا أن علينا توفير ولو درجة من ذلك.

لا ينبغي لنا أن نعترض على بيانات المعصوم، من الآن نجد بعض الناس يناقش الروايات، ليس لأنها ضعيفة، بل لأنها غير معقولة وكأن عقله حاكم على كلام الأئمة عليهم السلام، بعض الناس يحاول أن يرد رواية أو يضعف أخرى فيقول: هذه لا يحملها عقلي، هذا نفسه سيعترض على الإمام عليه السلام في مرحلة الظهور.

لا يقول أحد نحن صنميون، بل هذا الخضوع ناتج من عقيدتنا الواضحة المبرهنة بأن الإمام معصوم مفترض الطاعة. فثمرة العقيدة هي الخضوع التام للإمام عليه السلام _ وثقوا بالقائد فاتبعوه _ كما يقول أمير المؤمنين عليه السلام واصفاً بعض أصحابه.

أهلية لقاء الإمام عليه السلام:

المسألة الأخيرة التي نذكرها في الإعداد الروحي للنفس في استقبال مرحلة الظهور هي: مسألة أننا سنكون في ذلك الوقت وجهاً لوجه مع المعصوم، الآن نحن محرومون من النظر إلى وجهه الشريف، محرومون من سماع صوته مباشرة وكلامه، لا نستطيع تداول الكلام معه والجلوس إليه، لكن هذا سيرتفع في ذلك الوقت، سيكون هذا كله ممكناً بالنسبة للمؤمنين.

فعلينا كمؤمنين أن نهيب أنفسنا لذلك اللقاء. اللقاء الذي يتمناه كل مؤمن، اللقاء الذي بكى من أجله المئات، بل الملايين من المؤمنين منذ أكثر من ألف سنة، وتهجدوا في ليالهم ونهارهم حتى يتشرفوا بنظرة واحدة إلى إمامهم عليه السلام،

ضعف نفوسنا من الموانع، في الواقع الإنسان عليه أن يتيقن أن لقاء الإمام عليه السلام ليس أمراً هيناً وسهلاً، هناك علماء أجلة وُقِّفوا للقاء الإمام فأغمي عليهم من نور وجهه الشريف، فما بال الإنسان في زمن الظهور يجلس مع الإمام ويتحدث معه، أيّ قابلية هذه يجب أن تتوفر فينا حتى نحظى بهذا الشرف؟ يقولون ان هناك سُنخية إذا حصلت يمكن لأحد أن يجالس أحداً، أما إذا كان هناك تباين تام فلن يكون الاجتماع وارداً.

نحن نرى الآن في هذا الزمان بعضاً من الناس يقول: أنا لا أجلس مع فلان نهائياً على طاولة سياسية أو تجارية، على أيّ صعيد من أصعدة النشاطات لا يستعد أن يجلس مع البعض الآخر، يقول: بيني وبينه تباين، أو ليس هناك بيننا نقطة لقاء.

هذا كلام صحيح منطقي.

هنا أيضاً طبقوا هذا الكلام، إذا كنا نحن في واد في أخلاقنا وتقوانا وعبادتنا وطهارة نفوسنا والإمام في واد آخر فكيف لنا أن نحضى بشرف مجالسته؟ وكيف يسمح لنا الإمام أن نجلس إليه ونتقرب من حضرته؟

المسانخة ضرورية ولو بنسبة معينة، إذا استطاع الإنسان أن يوقّر لنفسه نسبة من الطهارة ودرجة من القرب إلى الله تعالى يكون قد أعد نفسه لذلك اللقاء الفريد. نحن الآن أحياء وما ندري ماذا سيكون بعد دقائق أو بعد أيام، الله مَنَّ علينا بالحياة وفي هذه اللحظات في هذا الشهر المبارك رمضان شهر الخير

وشهر البركة من عام ١٤٢٦ للهجرة المباركة وجعلنا من أهل كرامته، هذه فرصة من حصل عليها فهو السعيد، ومن أضاعها فهو الغافل الخاسر.

نسأل الله أن يجعلنا من الذين أعدّهم الله خداماً وجنوداً لإمامنا عليه السلام، وممن وقَّعهم لصيام هذا الشهر وقيامه وتلاوة كتابه فيه، ببركة محمد وآله الطاهرين.

والحمد لله رب العالمين

* * *

الدعوات: قطب الدين الراوندي / مدرسة الإمام الهادي عليه السلام / مط أمير / قم / ط ١ / ١٤٠٧ / مدرسة الإمام المهدي عليه السلام.

شرح الأخبار في فضائل الأئمة الأطهار: النعمان بن محمد التميمي المغربي / السيد محمد الحسيني الجلاني / مؤسسة النشر الإسلامي / قم.

شرح نهج البلاغة: ابن أبي الحديد / محمد أبو الفضل إبراهيم / منشورات مكتبة المرعشي / دار إحياء الكتب العربية.

عدة الداعي ونجاح الساعي: أحمد بن فهد الحلبي / أحمد الموحدي القمي / مكتبة الوجداني / قم.

عوالي اللثالي العزيزية في الأحاديث الدينية: ابن أبي جمهور الاحسائي / السيد المرعشي والشيخ مجتبي العراقي / مط سيد الشهداء / قم / ط ١ / (١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م).

عيون أخبار الرضا عليه السلام: الشيخ الصدوق / الشيخ حسين الأعلمي / مط مؤسسة الأعلمي / بيروت / ط ١ / ١٤٠٤هـ / مؤسسة الأعلمي.

كتاب الفتن: أبي عبد الله نعيم بن حماد المروزي / سهيل زكار / ط ١٤١٤هـ / دار الفكر.

كمال الدين وتمام النعمة: الشيخ الصدوق / علي أكبر الغفاري / ط ١٤٠٥هـ / مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين.

كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال: علاء الدين علي المتقي بن حسام الدين الهندي / الشيخ بكرى حياني / الشيخ صفوة السقا / مؤسسة الرسالة / بيروت.

اللمعة البيضاء في شرح خطبة الزهراء عليها السلام: محمد علي بن أحمد القزاجه داغي التبريزي الأنصاري / السيد هاشم الميلاني / ط ١ / مؤسسة الهادي / دفتر

نشر الهادي / قم / ١٤١٨هـ.

مصادر التحقيق

الاحتجاج: أبي منصور أحمد بن علي بن أبي طالب الطبرسي / السيد محمد باقر الخراساني / مط منشورات دار النعمان للطباعة والنشر / دار النعمان.

اختيار معرفة الرجال المعروف بـ (رجال الكشي): الشيخ الطوسي / ميرداماد، محمد باقر الحسيني، السيد مهدي الرجائي / دار إحياء الكتب العربية.

الأصول من الكافي: محمد بن يعقوب بن إسحاق الكليني الرازي / علي أكبر غفاري / مط حيدري / دار الكتاب الإسلامية آخوندي / ط ٣ / ١٣٨٨هـ.

الاعتقادات: محمد بن النعمان العكبري المعروف بـ (الشيخ المفيد) / عصام عبد السيد.

الأمالي: الشيخ الطوسي / ط ١ / ١٤١٤هـ / قسم الدراسات الإسلامية / مؤسسة البعثة / دار الثقافة / قم.

بحار الأنوار: محمد باقر المجلسي / ط الثانية المصححة / مؤسسة الوفاء / بيروت / (١٩٨٣م - ١٤٠٣هـ).

تحف العقول عن الرسول: الحسن بن علي بن الحسين بن شعبة الحراني / علي أكبر الغفاري / ط ٢ / ١٣٦٣ - ١٤٠٤هـ / مؤسسة النشر الإسلامي لجماعة المدرسين.

جامع البيان عن تأويل القرآن: أبي جعفر محمد بن جرير الطبري / صدقي جميل العطار / دار الفكر / بيروت / ١٤١٥هـ.

- مستدرك سفينة البحار: الشيخ عليّ النمازي الشاهرودي / الشيخ حسن بن عليّ النمازي / مؤسسة النشر الإسلامي لجماعة المدرسين / قم / ١٤١٩ هـ.
- مشكاة الأنوار في غرر الأخبار: أبي الفضل عليّ الطبرسي / مط الحيدرية النجف / ط ٢ / ١٣٨٥ هـ _ ١٩٦٥ م.
- معاني الأخبار: الشيخ الصدوق / عليّ أكبر الغفاري / مط انتشارات إسلامي / ط ١٣٦١ هـ ش / انتشارات إسلامي.
- مكارم الأخلاق: رضي الدين أبي نصر الحسن بن الفضل الطبرسي / ط ٦ / ١٣٩٢ هـ _ ١٩٧٢ م / منشورات الشريف الرضي.
- مناقب آل أبي طالب: ابن شهر آشوب / لجنة من ساتذة النجف الأشرف / ط ١٣٧٦ / مط الحيدرية / النجف الأشرف.
- وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة: محمّد بن الحسن الحر العاملي / مؤسسة آل البيت عليه السلام لإحياء التراث / قم / ط ٢ / ١٤١٤ هـ / مط مهر.

الخطوة الأولى: تشخيص الأمراض	٤٨
كيف نشخص أمراض القلب؟	٥٠
ملاحظة هامة	٥٣
الخطوة الثانية: علاج المرض القلبي	٥٣
طريقة أهل البيت <small>عليهم السلام</small> في العلاج	٥٤
من موارد العلاج	٥٧
قصة جميلة وعبرة بالغة	٥٧
مناشئ الحقد	٥٨
الذكرى تنفع المؤمنين	٦٠
العوامل المساعدة في التزكية	٦٠
المحور الثاني: الإعداد الروحي الخاص	٦٣
خصائص زمن الظهور	٦٥
متطلبات زمن الظهور	٧٠
أولاً: الصدق مع النفس	٧٠
ثانياً: التفقه	٧٠
ثالثاً: البصيرة الكاملة	٧١
الظهور مرحلة العمل الجاد لا النعيم فقط	٧٢
قصة هارون المكي	٧٥
أهلية لقاء الإمام <small>عليه السلام</small>	٧٦
مصادر التحقيق	٧٩
فهرست الموضوعات	٨٣

فهرست الموضوعات

مقدمة المركز	٥
شكر وتقدير	٧
كلمة لا بدّ منها	٩
المحور الأول: الإعداد الروحي العام	١١
المعالم الأساسية لطريقة أهل البيت <small>عليهم السلام</small> في الإعداد الروحي	١٤
المعلم الأول: الفطرة	١٥
الآثار النفسية للفطرة	١٨
الشخصية الحقيقية للإنسان	٢١
بطلان قول الأشاعرة	٢٢
استعراض وتلخيص	٢٤
المعلم الثاني: التفكير	٢٤
العبادة وآثارها	٢٥
وسائل تقوية العقل	٢٧
الخلاصة	٢٩
المعلم الثالث: العبودية	٣٠
آثار الشعور بالعبودية	٣٢
المعلم الرابع: تبسيط الأمور وتيسيرها	٣٨
التزكية والعُجب	٤٢
المراحل العملية للتزكية	٤٨



المؤلف في سطور

❖ المشرف العام على مدرسة الإمام
صاحب الأمر عليه السلام.
❖ صدر له:

١. شرح وجيزة البهائي في الدراية.
٢. سليم بن قيس الهلالي. تحقيق.
٣. حقيقة التشيع بين الموضوعية والمحاياة.
٤. التقريب على حساب الحقيقة.
٥. ظنية الإعتقاد والمعتقد.



مركز الدراسات والبحوث الإسلامية
مركز الدراسات والبحوث الإسلامية

برعاية المرجع الديني الأعلى
ساحة آية الله العظمى
السيد علي السيستاني (ع.له السلام)

النجف الأشرف - ص.ب: ٥٨٨

هاتف: ٢٢٢٨١١ - ٢٢٢٨١٢

WWW.M-MAHDI.COM

INFO@M-MAHDI.COM

رقم الاصدار، ٢٨